مصطفى محمود

حياته وفكره
آراؤه ومواقفه

مصطفى محمود

حياتي وفكري

آرائي ومواقفي

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م

الغلاف بريشة : الفنان عمرو فهمي

الإخراج الفني : مجدي كامل

دار سلمى للنشر والتوزيع

٩٩ شارع رمسيس - القاهرة - ت : ٥٧٨٤٥٠٤

مصطفى محمود

حياتى وفكرى
ارائى ومواقفى

حوارات أجراها معه :

مأمون غريب



إهـــــداء

إلى كل من يرى فى لغز الحياة ما يستحق العيش من أجل محاولة فك طلاسمه !

المؤلف

مقدمـــة

الدكتور مصطفى محمود ، أديب وكاتب ومفكر وعالم أيضا .. درس الطب ، وتعمق فى دراسة الأدب ، وغاص فى بحار الفلسفة ، وألم بالعلوم ، وكان أمله هو المعرفة ، وكانت أعز أمنيات حياته أن يبحث عن اليقين .. أن يصل إلى الحقيقة .. والوصول إلى الحقيقة عملية شاقة وصعبة ، وربما يكون محور الفلسفة كلها فى مختلف العصور .. كيف نصل إلى الحقيقة ؟

العالم يريد أن يصل إلى الحقيقة عن طريق التجربة فى المعامل ليصل إلى اليقين .

والأديب يحاول أن يصل إلى الحقيقة بتعبيره عنها ورد فعله لما يرى ويشاهد .

والفيلسوف يريد أن يعرف بالتأمل ومحاولة الإجابة على عديد من

علامات الاستفهام التى ترتسم فى ذهنه عن الوجود ومغزى الوجود .. وما وراء الوجود .

وعالم النفس يريد أن يعرف أعماق الانسان ، وما ينتابه من أمل وألم ، من سعادة وشقاء .. من صحة نفسية وتحليل نفسي .. وظهرت عشرات المدارس فى علم النفس تحاول أن تفسر الانسان ، وما زال الانسان لغزا مستعصيا على الاحاطة بأعماقه .

والصوفية يريدون المعرفة عن طريق الإلهام ، وما يقذفه الله فى قلب العبد المؤمن .. ومن تلقى فيوضات الرحمن . وتتعدد محاولة الوصول إلى الحقيقة ، وتتعدد الأسباب .. وتبقى علامات الاستفهام الحائرة حينا والمحيرّة أحياناً أخرى .

ولكن البحث عن الحقيقة فى حد ذاته ممتع للغاية .. المحاولة ممتعة .. وتصور الوصول إلى شاطىء الأمان ممتع فى حد ذاته .

وتظل الحقيقة شيئا عزيز المنال . والدكتور مصطفى محمود عاش طويلا يبحث عن الحقيقة ..قرأ كثيرا .. وتأمل كثيرا .. وشاهد كثيرا .. إلى أن وضع قدمه على أرض ثابتة .. وأصبح الإيمان القاعدة التى ينطلق منها نحو مواقفه ومختلف آرائه .

وقد أعجبت بالرجل . وأنا أقرأ كتبه الأدبية والدينية والعلمية ..

وأعجبنى أسلوبه ببساطته وقوة حجته وبيانه ، وبعده عن الزخرف والتزويق ..

وعندما عرفته عن قرب .. والتقيت به لقاءات كثيرة .. محاورا .. ومناقشا .. ومستوضحا أفكاره وآراءه .. ازددت يقيناً بأن الدكتور مصطفى محمود أديب مفكر ، وعالم يحاول تبسيط العلم بأسلوب سهل ويسير .

ومن هنا فقد كتبت عنه كتاب (مصطفى محمود .. مفكرا اسلاميا) .. حاولت فيه أن اقترب من عالمه .. ومن فكره الدينى .. ولكن مع الوقت .. ومع قراءاتى المتأنية لكتبه ومتابعة مقالاته ، وما يقدم فى برنامجه الشهير (العلم والإيمان) .. وجدت أن هذا الكتاب لا يفى باعطاء صورة عن الكاتب الكبير .. ومن هنا فقد آثرت أن أضيف إليه الكثير جدا .. وأوضح فكره لا من زاوية واحدة ولكن من مختلف الزوايا حتى تكتمل معالم الصورة .. وحتى تبرز معالمها .. كمفكر أسلامى .. وكأديب .. وكعالم يحاول تبسيط ما درسه وما استوعبه من علوم العصر .. كما لا يمكن إغفال دوره ككاتب يتابع أحداث العصر السياسى .. ويكتب عنها بروح أديب ، وعقلية عالم ، وقلم شاعر يحس نبض الناس ويعبر عن مشاعرهم .

إنها رحلة مع الدكتور مصطفى محمود .. أرجو أن اقترب من شواطئه .. وأوضح رؤاه .. على قدر استطاعتى - وأن يخرج القارىء بصورة واضحة المعالم والقسمات عن هذا الإنسان الذى أعطى الكثير وما زال يواصل العطاء .

* * *

المؤلف

الفصل الأول

فكر عالم
ورؤية فنان !

لا أعرف بالضبط متى بدأت قراءاتى للدكتور مصطفى محمود ، وان كنت موقنا إننى قرأت له وأنا مازلت فى المرحلة الثانوية .. عندما استرعت انتباهى كتاباته المتسمة بالجرأة فيما يتناول من موضوعات ثقافية أو دينية أو علمية .. وربما استرعى انتباهى بجانب الجرأة فى التناول .. سهولة الأسلوب وعمق المعانى .. كما أن له قاموسه اللغوى المميز..الذى يختلف فيه عن الآخرين ..

ثم بدأت أقرأ له أكثر .. وأدخل الى عالمه الفنى والفكرى عندما كنت أدرس الفلسفة فى الجامعة .. ربما الذى جذبنى إليه ما اتسم به فكره من لمسات فلسفية عميقة ، من خلال عشقه للعلم .. وما سببه للانسانية من تقدم حضارى مذهل وما جره فى نفس الوقت من كوارث على الجنس البشرى .. إن العلم الذى صعد بالانسان الى القمر .. وذهب بعيدا الى مدارات حول المريخ فى محاولة لسبر أغوار الكون الذى لا يمكن لأى عقل أو خيال تصور اتساعه .. هو نفس العلم الذى اخترع القنبلة الذرية .. وغيرها من المخترعات التى تهدد الوجود الانسانى نفسه .. وتحول الحياة كلها على كوكبنا الأرضى الى خرائب وأنقاض .. ودمار ..

رأيت فى الدكتور مصطفى محمود رحالة دائم الترحال الى المعرفة ..

العلمية .. والدينية .. والفلسفية .. والتعبير عن كل ذلك من خلال المقال .. والرواية .. والمسرحية بأسلوب متفرد متميز .. إنه ربان يحاول اكتشاف المجهول فيما حولنا .. وفيما يجرى فى اعماق الانسان نفسه .. فى تلك الغابة البالغة الغموض والتى تعيش فى داخلنا .. ونحن مازلنا نجهل اعماقنا .. بالضبط كما زلنا نجهل الكثير من عالمنا .. وإذا كانت الحياة وما يعتمل فيها ما زال لغزا محيرا فى الكثير من مظاهر الوجود حولنا .. فما بالك فيما وراء المادة .. فى الأمور المغيبة عنا .. والغيب والايمان به من صميم الاسلام .. فإذا بالرجل الذى أرهقته رحلة طويلة شائكة وهو يبحث عن اليقين ، يصمم أن يقوم بأعمق رحلاته وأخطرها فى محاولة البحث عن الحقيقة ..

إن الرحلة هنا شاقة رغم ما فيها من شوق عظيم الى المعرفة .. ولكنه يصمم أن يخوض هذه التجربة .. وأن يبحر فى رحلة فكرية رائعة ليعود من الرحلة موقنا مؤمنا .. بل ومتصوفا متذوقا لجلال الحب الالهى .. وجمال الخمر الالهية .. فإذا بحديثه عن السر الأعظم .. يهيم بنا فى عالم الصوفية .. وبحارهم .. وما فيها من مد وجزر .. وما فيها أيضا من محاذير ..

و..عرفت الدكتور مصطفى محمود عن قرب عندما عملت بالصحافة .. وكان لى معه العديد من اللقاءات .. ثم اقتربت المسافة

بينى وبينه أكثر .. هذا الاقتراب جعلنى أتفهم فكره أكثر وأكثر ..وأعرف عن قرب ما قدمه فى مجال الفكر من تجربة خصبة لها تأثيرها بلا شك على جيله .. وعلى الأجيال القادمة .. لأنها تجربة انسان يفكر بصوت عال .. ودرس بعمق .. وخرج من هذه التجربة الرائدة بما ينفع الناس ..

فقد قدم للمكتبة العربية أكثر من خمسين كتابا .. ومازال عطاؤه مستمرا بجانب برنامجه التليفزيونى « العلم والايمان « .. الذى من خلاله يبسط العلم الحديث ، ويربطه بالايمان ، مما جعل له ملايين العشاق الذين يستمتعون بما يقدمه من مكتشفات العلم وانجازاته فى مختلف مجالاته .. ويجعل الانسان يفكر فى نفس الوقت فيما وراء هذا الاعجاز العلمى من قدرة الله سبحانه وتعالى ..

وقد شدنى العديد من كتبه .. وإذا كان من الصعب ان استعرض مؤلفاته المتعددة المتنوعة التى تزيد كما قلت على خمسين كتابا .. فإنه يكفى ان اشير الى هذا الانتاج الغزير اشارة اصبع كما يقولون .. اعطى الخطوط العامة لهذا الانتاج حتى يستطيع القارىء ان يلم بالخيوط التى تشكل فكر اديبنا الفنان .. وعلى من يريد ان يعيش عالمه ، فعليه ان يقرأ ما كتبه المؤلف .. وإن كنت قد حرصت على التوسع فى مجال الفكر الاسلامى .. لأن هذا الجانب هو أكثر الجوانب اضاءة فى فكر الدكتور

مصطفى محمود ، كما ان هذا الفكر هو الذى سيعيش اكثر بلا شك .

ود. مصطفى محمود كتب الرواية ، وكتب القصة القصيرة .. كما ألف عددا من المسرحيات .. أى انه من خلال هذا القالب الفنى قدم المؤلف رؤيته للحياة ، وهو فى كتاباته الفنية يجسد أفكاره فى ابطال رواياته ..

وهو فى قصصه ورواياته لا يستطيع الناقد أن يضعه فى قالب فنى معين .. أو مذهب أدبى معين .. ربما لأنه يجد فى النظريات قيدا على الفكر يحول دون التعبير بحرية أكثر .. وبرؤية بانورامية أكثر شمولا .. فهناك الكثير من الأدباء والفنانين الذين يضيقون ذرعا بالقوالب الجامدة التى تحول دون حرية التعبير بعيدا عن الرؤى الضيقة ..

فالانسان لم يخلق ليأكل ، ولكنه يأكل ليعيش على حد تعبير المقولة المشهورة .. أو على رأى الدكتور مصطفى محمود نفسه فى تقديمه لمجموعته القصصية (أكل عيش) .

أريد لحظة انفعال .. لحظة حب . لحظة دهشة .. لحظة اكتشاف .. لحظة معرفة .. أريد لحظة تجعل لحياتى معنى .. إن حياتى من أجل أكل العيش لا معنى لها ، لأنها مجرد استمرار .

وقد أعجبتنى الدراسة التى قدم بها الناقد الاستاذ جلال العشرى

لهذه المجموعة .. الذى يرى أن مصطفى محمود فى قصصه القصيرة لم يتجه الى تصوير نماذج كلاسيكية كما يفعل الاخرون .. لم يتجه الى تصوير نموذج البخيل أو الجشع أو المراهق .. وانما اتجه الى تصوير أفكار في موقف .. أفكار تحس وتتحرك وتتطور من خلال تصور الشخصيات نفسها .. فالشخصية وعاء للفكرة ، والقضية فى قلب الموقف ، والقيمة الفنية اذ تنطوى على القيمة الفكرية ، انما نصل بالقصة القصيرة الى اقصى مداها ..

وهكذا نجد أن مصطفى محمود لا يضحى بالقيمة الفنية من اجل القيمة الفكرية بحيث يجف العمل الادبى فى يده ، ويستحيل الى إثارة فكرية أو توجيه مباشر كما هو الحال عند كاتب مثل سارتر .. ولا يخاطر بالقيمة الفكرية لحساب القيمة الفنية فيقدم عملا شكليا أقرب الى الضجيج البحت او التكنيك الخالص كما هو الحال عند كاتب مثل تنسى وليامز ، وانما هو يحافظ على القيمتين معا ، ويحاول ان ينطلق بهما فى وقت واحد ، فهو مفكر من حيث هو فنان ، أو هو مفكر بما هو فنان .. أو أن المفكر والفنان فيه هما شيء واحد ..

واذا جاز لنا أن نقارن بينه وبين كاتب آخر من كتاب الغرب فربما كان البيركامى ، فالفكرة عنده هى البطل الرئيسى الذى نراه من خلال الشخصيات وندركه من وراء المواقف ، بحيث لا تصبح

الشخصية ولا الموقف إلا بمثابة الجناحين اللذين تحلق بهما الفكرة .

والواقع أن تقييم أدب مصطفى محمود تقييما نقديا كاملا أمر يتعذر فى الوقت الحاضر ، فمن الصحيح أن مكانته المعروفة باعتباره أديبا ، قد أتاحت الظروف الملائمة لانتشار آرائه وذيوعها ، ولكن من الصحيح كذلك أن جوهر تأثيره يكمن فى طبيعة هذه الآراء نفسها ..

وعلى الرغم من أن مصطفى محمود لم يشكل تيارا أدبيا جديدا وآثر ان يتخذ موقفا بعيدا عن الحركات المتطرفة فى مسايرة العصر ، سواء فى مجال الفكر أو فى مجال الأدب ، فإن ما كتبه يعد إحساسا عميقا بالعصر الذى عاش فيه ، وتحليلا حافلا بالآراء حول طبيعة هذا العصر .

فاختياره للموضوعات التى تناولها يعكس الكثير من الاتجاهات والاهتمامات الفكرية المعاصرة ، وتناوله لهذه الموضوعات يكشف عن عقل ذكى وحساس ، ينزع نزعة انسانية ، ويجاهد للوصول الى حل لبعض المشكلات التى تؤرق ضمير الانسان الحاضر ..

ان مصطفى محمود فى حقيقته لهو رقيب وشاهد على هموم ومشاق عصره ، مثلما كان البير كامى رقيبا وشاهدا هو الآخر ..

ومهما يكن من شىء ، فإن أدب مصطفى محمود ، وإن كان يعبر

عن وجدانه وفكره من خلال رؤياه لتيار الحياة وما يموج فيها من أحداث .. وما يعتمل فيها من آراء وافكار وتيارات ، فإنه يعبر عن كل ذلك بصدق الفنان ، وعقلية المفكر، فخرجت أعماله الأدبية لها لون خاص .. ونسيج خاص ..

ولا اعتقد انه يخرج عن دائرة ذلك سوى مجموعته القصصية « نقطة الغليان » .. ربما كان يمر بمرحلة فكرية معينة .. أو بوجد صوفى معين .. فإذا بهذه المجموعة وهى تحكى قصصا مختلفة ، الا ان الخيط الذى يجمعها هو عودة ابطال هذه القصة وتيقنهم بأنه لا حل لما هم فيه من مشاكل وضياع ، ولا وصول بهم الى شاطىء آمن الا اذا اتخذت من (بوصلة) الايمان وسيلة للوصول الى شاطىء الآمن والأمان ..

أما بقية أعماله القصصية فهو أديب يكتب أعماله بفرشاة الفنان .. ويرسم خطوط احداثها بعقلية المفكر .. فخرج من ذلك فى أعماله الفنية بقصص يمكن أن تقرأها وفى نفس الوقت تفكر . أى انك لا تلاحق أحداثها بقدر ما يجعلك المؤلف تقف طويلا باحثا عن الهدف .. أو الحكمة التى يخرج منها القارىء لهذه القصص . لأنها مغلفة بطابع فلسفى خاص ..

* * *

واعتقد مخلصا ان اهم ما قدمه مصطفى محمود هو الجانب الفكرى وهو يحدثنا من خلال فكر عالم ، ورؤية فنان عن العديد من القضايا الفلسفية والفكرية التى قد تفرض نفسها على العقل الانسانى ومحاولة وضع هذه القضايا موضع التحليل العميق .. فاذا به يضع النقط فوق الحروف .. باجابات شافية . يقبلها العقل ، ولا يرفضها المنطق ..

ولعل اروع كتبه التى قرأتها وأعدت قراءتها مرارا وتكرارا كتابه (حوار مع صديقى الملحد) .. انه يدخل الى مناطق فكرية شائكة .. ومع ذلك يدخل بجرأة هذه المناطق .. ويناقشها بعقل متفتح .. وبالتالى فهو يفتح الطريق أمام الشباب لفهم أمور دينهم .. بعد أن يكشف زيف الملاحدة ، والذين يكيدون للاسلام باسم العلم حينا ، وباسم الفلسفة حينا اخر ..

فهو فى كتابه يطرح مشكلة (وجود الله) ، ويناقش زيف من يمسكون بتلابيب الفلسفة ليفسدوا عقائد الناس .. مع ان الفلسفة نفسها لم تحل مشكلة ولم ترسم طريقا .. وهى تبدأ بعلامة استفهام وتنتهى ايضا بعلامة استفهام ..

وهو يناقش فى كتابه ايضا مشكلة القضاء والقدر ، ومناسك الحج وهل هى عادات وثنية ، كما يدعى البعض ، ام انها طاعة وامتثال لأمر

الله .. وهذه القضايا كلها من القضايا التى استغرقت دراسات متعددة . ومجلدات ضخمة .. وما زالت قضايا ملحة يثور حولها الجدل والنقاش ، ولكن الدكتور مصطفى محمود يخوض هذا البحر وهو مسلح بسلاح العلم والايمان والثقة بأسحلته الفكرية ، فيقدم لنا اجابات جادة وجديدة فى قضايا قديمة جديدة .. مثلا .. نقف معه فى حوار مع صديقه الملحد الذى يسأل اذا كان الله خالق كل شىء فمن هو الذى خلق الله .. وأتركك مع اجابته :

* * *

صديقى رجل يحب الجدل ويهوى الكلام ، وهو يعتقد أننا ـ نحن المؤمنين السذج ـ نقتات بالأوهام ونضحك على أنفسنا بالجنة والحور العين وتفوتنا لذات الدنيا ومفاتنها..وصديقى بهذه المناسبة تخرج فى فرنسا وحصل على دكتوراه ، وعاش مع الهيبيز وأصبح ينكر كل شىء..

قال لى ساخرا :

– أنتم تقولون : ان الله موجود .. وعمدة براهينكم هو قانون « السببية » الذى ينص على أن لكل صنعة صانعا ، ولكل خلق خالقا ، ولكل وجود موجدا .. النسيج يدل على النساج ، والرسم يدل على الرسام ، والنقش على النقاش ، والكون بهذا المنطق أبلغ دليل على الاله القدير الذى خلقه .. صدقنا وآمنا بهذا الخالق .. ألا يحق لنا بنفس

المنطق أن نسأل .. ومن خلق الخالق .. من خلق الله الذى تحدثوننا عنه .. ألا تقودنا نفس استدلالاتكم الى هذا .. وتبعا لنفس قانون السببية .. ما رأيكم فى هذا المطب دام فضلكم ؟

ونحن نقول له : سؤالك فاسد .. ولا مطب ولا حاجة ، فأنت تسلم بأن الله خالق ، ثم تقول من خلقه ؟ فتجعل منه خالقا ومخلوقا فى نفس الجملة . وهذا تناقض ..

والوجه الآخر لفساد سؤالك أنك تتصور خضوع الخالق لقوانين مخلوقاته . فالسببية قانوننا نحن أبناء الزمان والمكان ..

والله هو الذى خلق الزمان والمكان هو بالضرورة فوق الزمان والمكان ولا يصح لنا أن نتصوره مقيدا بالزمان والمكان ، ولا بقوانين الزمان والمكان ..

والله هو الذى خلق قانون السببية ، فلا يجوز أن نتصوره خاضعا لقانون السببية الذى خلقه ..

وأنت بهذه السفسطة أشبه بالعرائس التى تتحرك بزمبلك ، وتتصور أن الانسان الذى صنعها لا هو الآخر يتحرك بزمبلك .. فاذا قلنا لها بل هو يتحرك من تلقاء نفسه .. قال : مستحيل أن يتحرك شىء من تلقاء نفسه .. أنى أرى فى عالمى كل شىء يتحرك بزمبلك ..

وأنت بالمثل لا تتصور أن الله موجود بذاته بدون موجد .. لمجرد أنك ترى أن كل شيء حولك فى حاجة إلى موجد ..

وأنت كمن يظن أن الله محتاج إلى براشوت لينزل على البشر وإلى أتوبيس سريع ليصل إلى انبيائه ، سبحانه وتعالى عن هذه الأوصاف علوا كبيرا .

و « عما نويل » كانت الفيلسوف الالمانى فى كتابه « نقد العقل الخالص » أدرك أن العقل لا يستطيع أن يحيط بكل الأشياء .. وأنه مهيأ بطبيعته لادراك الجزئيات والظواهر فقط .. فى حين أنه عاجز عن ادراك الماهيات المجردة مثل الوجود الالهى .. وانما عرفنا الله بالضمير وليس بالعقل .. شوقنا إلى العدل كان دليلنا على وجود العادل .. كما أن ظمأنا إلى الماء هو دليلنا على وجود الماء ..

أما « أرسطو » فقد استطرد فى تسلسل الأسباب قائلا : ان الكرسى من الخشب .. والخشب من الشجرة .. والشجرة من البذرة .. والبذرة من .. الزارع .. واضطر إلى القول بإن هذا الاستطراد المتسلسل فى الزمن اللا نهائى لابد أن ينتهى بنا فى البدء الأول إلى سبب فى غير حاجة إلى سبب .. سبب أول أو محرك أول فى غير حاجة إلى من يحركه .. خالق فى غير حاجة إلى خالق .. هو نفس ما تقوله عن الله ..

أما « أبن عربى» فكان رده على هذا السؤال : « سؤال من خلق الخالق ؟» بأنه سؤال لا يرد إلا على عقل فاسد .. فالله هو الذى يبرهن على الوجود .. ولا يصح أن تتخذ من الوجود برهانا على الله .. تماما كما نقول : إن النور يبرهن على النهار .. ونعكس الآية لوقلنا أن النهار يبرهن على النور ..

يقول الله فى حديث قدسى :

- « أنا يستدل بى .. أنا لا يستدل على » ..

فالله هو الدليل الذى لا يحتاج إلى دليل ، لأن الله هو الحق الواضح بذاته .. وهو الحجة على كل شىء.. الله ظاهر فى النظام والدقة والجمال والأحكام .. فى ورقة الشجر .. فى ريشة الطاووس .. فى جناح الفراش .. فى عطر الورد .. فى صدح البلبل .. فى ترابط النجوم والكواكب .. فى هذا القصيد السيمفونى الذى اسمه الكون .. لو قلنا إن كل هذا جاء مصادفة لكنا كمن يتصور أن إلقاء حروف مطبعة فى الهواء يمكن أن يؤدى إلى تجمعها تلقائيا على شكل قصيدة شعر لشكسبير بدون شاعر وبدون مؤلف ..

والقران يغنينا عن هذه المجادلات بكلمات قليلة وبليغة فيقول بوضوح قاطع ودون تفلسف :

- « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » ..

ويسألنا صاحبنا ساخرا : ولماذا تقولون إن الله واحد ..؟ لماذا لا يكون الآلهة متعددين ..؟ يتقاسمون بينهم الاختصاصات ؟ ..

وسوف نرد عليه بالمنطق الذى يعترف به .. بالعلم وليس بالقرآن سوف نقول له : ان الخالق واحد .. لان الكون كله مبنى من خامة واحدة وبخطة واحدة..فمن الايدروجين تألفت العناصر الاثنتان والتسعون التى فى جدول « مندليف » بنفس الطريقة ..« بالادماج » ..وإطلاق الطاقة الذرية التى تتأجج بها النجوم وتشتعل الشموس فى فضاء الكون ..

كما أن الحياة كلها بنيت من مركبات الكربون ، جميع صنوف الحياة تتفحم بالاحتراق .. على مقتضى خطة تشريحية واحدة .. تشريح الضفدعة ، والأرنب .. والحمامة .. والتمساح .. والزرافة .. والحوت .. يكشف عن خطة تشريحية واحدة .. نفس الشرايين والاوردة وغرفات القلب .. ونفس العظام .. كل عظمة لها نظيرتها .. الجناح فى الحمامة هو الذراع فى الضفدعة ..نفس العظام مع تحور طفيف .. والعنق فى الزرافة على طوله نجد فيه نفس الفقرات السبع التى تجدها فى عنق القنفذ .. والجهاز العصبى .. هو هو فى الجميع .. .. يتألف من مخ وحبل شوكى وأعصاب حس وأعصاب حركة ..

والجهاز الهضمى من معدة وأثنا عشر .. وأمعاء دقيقة وأمعاء غليظة .. والجهاز التناسلى . نفس المبيض والرحم والخصية وقنواتها .. والجهاز البولى .. الكلية والحالب .. وحويصلة البول .. ثم الوحدة التشريحية فى الجميع فى الخلية .. وهى فى النبات كما فى الحيوان كما فى الانسان بنفس المواصفات .. تتنفس وتتكاثر وتموت وتولد بنفس الطريقة ..

فأية غرابة بعد هذا أن نقول : إن الخالق واحد ..

ولماذا يتعدد الكامل .. ؟ وهل به نقص يحتاج إلى من يكمله ؟ .. انما يتعدد الناقصون ..

ولو تعدد الآلهة لاختلفوا ، ولذهب كل اله بما خلق .. ولفسدت الأرض ..

والله له الكبرياء والجبروت .. وهذه صفات لا تحتمل الشركة .. ويسخر صاحبنا من معنى الربوبية كما نفهمه .. ويقول أليس عجيبا ذلك الرب الذى يتدخل فى كل صغيرة وكبيرة ، فيأخذ بناصية الدابة ، ويوحى إلى النحل ان تتخذ من الجبال بيوتا ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها .. وما تخرج من ثمرات من أكمامها إلا أحصاها عددا .. وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه .. اذا عثرت قدم فى حفرة فهو الذى أعثرها .. واذا سقطت ذبابة فى طعام .. فهو الذى أسقطها .. واذا

تعطلت الحرارة فى التليفون فهو الذى عطلها .. واذا أمتنع المطر .. فهو الذى منعه .. واذا هطل فهو الذى أهطله .. ألا تشغلون الهكم بالكثير من التافه من الأمور بهذا الفهم .. ولا أفهم أيكون الرب فى نظر السائل أجدر بالربوبية لو أنه أعفى نفسه من هذه المسئوليات وأخذ أجازة وأدار ظهره للكون الذى خلقه وتركه يأكل بعضه بعضا ..

هذا الرب الجديد فى نظره هو رب عاطل مغمى عليه .. لا يسمع .. ولا يرى .. ولا يستجيب .. ولا يعتنى بمخلوقاته .. ثم من أين للسائل بالعلم بأن موضوعا ما تافه لا يستحق تدخل الإله .. وموضوعا آخر مهم وخطير الشأن ؟ ..

ان الذبابة التى تبدو تافهة فى نظر السائل فلا يهم فى نظره أن تسقط فى الطعام أو لا تسقط .. هذه الذبابة يمكن أن تغير التاريخ بسقوطها التافه ذلك .. فانها يمكن أن تنقل الكوليرا إلى جيش .. وتكسب معركة لطرف آخر .. تتغير بعدها موازين التاريخ كله ..

ألم تقتل الاسكندر الأكبر بعوضة ؟

ان أتفه المقدمات ممكن ان تؤدى إلى أخطر النتائج .. وأخطر المقدمات ممكن أن تنتهى إلى لا شىء .. وعالم الغيب وحده هو الذى يعلم قيمة كل شىء ..

وهل تصور السائل نفسه وصيا على الله يحدد له اختصاصاته ..

تقدس وتنزه ربنا عن هذا التصور الساذج ..

انما الاله الجدير بالألوهية هنا هو الاله الذى أحاط بكل شىء علما .. لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ..

الإله السميع .. المجيب .. المعتنى بمخلوقاته ..

* * *

والذى يدرس إنتاج الدكتور مصطفى محمود وما كتبه من دراسات دينية .. تستوقفه قدرته على التأمل والتفكير الطويل قبل أن يكتب .. أى أن كتابته ليست كتابات عفوية .. أو هى ملء صفحات بكلمات محفوظة ومكررة .. ولكن كتاباته بها النبض الفلسفى .. بمعنى أنها مشحونة بشحنة فكرية .. فهو لا يأخذ ما يقرأ على علاته .. بل يفحصه جيدا ، ويستوعب ما فيه .. ويعرضه على ملكته النقدية ، ثم يكتب بعد ذلك عن إقتناع ..

وله دراسة جادة كتبها تحت عنوان:«محمد عليه الصلاة والسلام » ..

وهو فى هذا الكتاب الذى يحاول كما يقول فهم السيرة النبوية .. ينظر إلى شخصية الرسول من عدد من الزوايا .. فى كل زاوية من هذه الزوايا تبرز شمائل الرسول .. فهو لا يرى من الزاوية التى ينظر إليها البعض إلى الرسول من جانب العظمة .. فهو يرى أنها ليست عظمة بل نبوة ..

ويحدثنا عن روحه المشعة الآسرة ، ثم يحدثنا عن سيرته التى تشبه الأعصار ، ويختمها بإلقاء الضوء على مدرسة الرسول صانعة الرجال .. ومن خلال هذه الزوايا المختلفة ، تتجسد لنا شخصية الرسول المبهرة ، وسيرة حياته وجهاده العظيم فى تبليغ الرسالة .. فإذا بنا أمام شخصية لم تعرف ولن تعرف الانسانية لها مثيلا ..

فهو يقول : فى معرض حديثه عن الرسول :

- كان محمد ذاته كسلوك وخلق وسيرة هو المعجزة التى تسعى على الأرض ..

وأن تبلغ ذاتك الكمال فى صفة واحدة فتنجز فيها وتتفوق فيها على أقرانك .. فهذه هى العبقرية .. أن تبلغ الذروة فى الخطابة .. فأنت ديموستن .. وأن تبلغ الذروة فى الشعر فأنت بيرون .. وأن تبلغ الذروة فى الزعامة فأنت بركليس ، وأن تبلغ الذروة فى الحكمة .. فأنت لقمان .. وأن تبلغ القمة فى فنون الحرب .. فأنت نابليون .. وأن تبلغ الذروة فى التشريع فأنت سولون ..

اما أن تكون كل هؤلاء .. وأن تمنحك الأيام كل صفة فتبلغ فيها غاية المدى دون مدرسة أو معلم فهو الاعجاز بعينه .. وإذا حدث فإنه لا يفسر إلا بأنه نبوة وعون من الله الوهاب وحده ..

وهذا هو برهانى على نبوة محمد ..

فها أنت ذا أمام رجل إذا تحدث كان أبلغ البلغاء ، وإذا نطق .. كان أفصح الفصحاء .. لا ينطق عن هوى ، ولا يتحدث عن حفيظة .. وإنما عن حكمة الحكيم .. وبصر البصير الملهم .. وهذه أحاديثه المجموعة تشهد لنا بأنها من جوامع الكلم ..

وبعد أن يحدثنا عن مواقف النبى الكريم فى المعارك العسكرية التى خاضها ضد كفار قريش ، وصموده الهائل فى بدر وأحد .. والأحزاب واليهود المتآمرين به فى المدينة .. ثم يرسم صورة لما كانت عليه شخصيته عليه الصلاة والسلام ..

- « وهذا محمد النبى وقد اجتمعت فيه كمالات بلغ فى كل منها الذروة ، فهو العابد المبتهل الذى يذوب خشوعا ويفنى حبا ، وهو المقاتل الصنديد الذى يتعرض لجحافل الموت ثابت القدم وألوف الأبطال والفرسان يفرون أمامه كالجرذان .. وهو المخطط العبقرى الذى يرسم الخطط فيتفوق على أهل الحرفة ، وهو السياسى الحاذق الذى يحرك المجاميع ويمسك بمقاليد المشاعر بمهارة المايسترو المبدع .. وهو المحدث الذى ينطق بجوامع الكلم ، وهو الأب والزوج والصديق .. وهو صاحب الدعوة الذى يقيم نظاما وينشىء دولة من عدم (من قبائل وشراذم متفرقة لا تعرف إلا قطع الطريق والثأر والتفاخر بالأحساب والأنساب) ..

وهو يؤرخ الأسرار ، المكاشف بالملكوت الذى يستمع إلى الله وملائكته كما نستمع نحن بعضنا إلى بعض بالغا ذلك القمة فى علوم الظاهر وعلوم الباطن معا فى الوقت نفسه .. وهو الكريم الحليم الودود الرؤوف الصبور البشوش البسام اللطيف المعشر .. لا تمنعه الأعباء الجسام من ملاطفة الطفل والوليد .. فيحمله على كتفه راكعا وساجدا وقائما ، ولا من مغازلة زوجه فى حنان .. لا ينضب لعواطفه معين ، وكأنه يستمد من بحر هذه الذات هذه المعجزة .

وإجتماع هذه الكمالات فى ذات واحدة معجزة .. وليست عبقرية .. فالعبقرية هى أن تتفوق فى صفة واحدة فحسب .. اما أن تكون ذواتنا مجمع كمالات فهنا نبوة .. هنا أمر لا يمكن أن يكون إلا بمدد إلهى وعصمة وتوفيق وتمكين وإفاضة ممن عنده كنوز كل شىء .. وهذا برهان على نبوة محمد ..

إننا أمام ذات متفردة تماما ، مستوفية أسباب الكمال ، جامعة لأقصى الأطراف فى كل شىء ، فاعلة منفعلة .. نشيطة مؤثرة ، تصنع بطلا من رجل تلمسه .. وكأنما آثر السحر فى كل ما حولها ثم فيمن بعدها .. ثم فى التاريخ بعد ذلك من مستقبل إلى آخر الزمان ..

نحن لسنا اذن أمام ابراهام لنكولن ، ولا أمام جيفارا كما تصور أصحابنا قصار النظر .. دعاة الجدلية ودعاة العلمية بلا علمية .. نحن لسنا أمام مصلح اجتماعى ..ولا أمام ثورة أسبارتاكوس الاجتماعية .

لا .. هزلت تلك التشبيهات ..

بل ظلموا أنفسهم .. وظلموا نبيهم .. ونقصوه وما قدروه ، بل نحن أمام ذات .. تسبح وتقدس من أنشأها فى الأزل وبعثها للأبد رحمة للعالمين وصلى عليها فى عليائه ، تمجد وتبارك آياته ..

- **﴿ ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾**

﴿ الأحزاب ٥٦ ﴾

* * *

ويأخذنا الدكتور مصطفى محمود فى حديثه عن شخصية الرسول الآسرة ، وحب أصحابه له .. وتكتلهم حوله فى المواقف الصعبة ، وافتدائه بأنفسهم .. ثم يضرب لنا مثلا بهذه الروح الآسرة للرسول مع زوجاته .. ويضرب لنا مثلا بزوجة الرسول صفية .. وهى بنت زعيم اليهود فى شبه الجزيرة العربية .. وأعدى أعداء محمد .. حيى بن أخطب .. فيحكى قصة الحرب التى وقعت بين النبى واليهود .. فقد بدأ اليهود بالمؤامرات .. وانتهت مؤامراتهم بالحرب .. التى انتهت بهزيمة اليهود وقتل زعمائهم.. وفيهم زعيمهم حيى بن أخطب .. والد صفية ..

بروح المفكر الباحث .. نرى الدكتور مصطفى محمود يحاول أن يجد اجابة لعلامة استفهام كبيرة ؟ كيف يمكن لصفية أن تعيش مع النبى

وهو الذى قتل أباها .. كيف يأمن أن يعيش معها ؟ ..

وكيف عاشت معه وفية محبة له إلى أقصى الحدود ؟

ان ذلك يرجع إلى الروح الآسرة للمصطفى .. يحكى لنا مصطفى محمود حكاية صفية .. الذى تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم فيقول : ومن هى صفية ..

انهم يقولون أن نسبها ينتمى إلى النبى هارون أخى موسى وانها إمرأة ذات اباء وكبرياء ، ولا تنسى الضيم .. وهذا زوجها كنانة بن الربيع لم تكد تمضى ساعات على قتله أمام حصون خيبر ..

ويبيت أبو أيوب خالد بن زيد أمام خيمة العرس ساهرا متوشحا سيفه .. حتى إذا أصبح الصبح ورآه النبى يطوف بالخيمة فيقول له :

- مالك يا أبا أيوب ؟

فيقول الرجل :

- يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة .. لقد قتلت زوجها وأباها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر فخفتها عليك ..

فيدعو له الرسول :

- اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى .

وقارىء السيرة يقف حائرا مأخوذا أمام هذا الزواج ..

كيف يمكن أن تنمو المودة والرحمة عبر هذه الأضغان والمواجد ..؟

وكتب السيرة تجمع كلها على أن صفية أحبت الرسول .. وأن الرسول أحبها وانه كان يدفع عنها كيد حفصة وعائشة حينما يدعواها باليهودية فتأتى اليه باكية فيمسح دموعها قائلا :

- كيف تكونان خيرا منى وأبى هارون وعمى موسى وزوجى محمد .

وفى مرض الرسول نراها تقف على فراشه هامة فى دموعها :

- وددت والله يا نبى الله أن الذى بك بى ..

فتتغامز زوجات النبى فيقول لهن الرسول :

- مضمضن ..

فيتساءلن فى دهشة :

- من أى شىء ؟

فيقول الرسول :

- من تغامزكن بها .. والله انها لصادقة .

ويموت النبى ولو كان فى قلبها ضغن لأظهرته حينما انقسم المسلمون

وظهرت الفتنة وتآمر الناس على عثمان بن عفان .. ولكنها كانت أول من سارع إلى عثمان لترد عنه فلقيها الأشتر وهى فى حجابها على بغلتها فضرب وجه البغلة وهو لا يعرف راكبتها فصرخت فيه صفية :

- ويحك .. ردنى ولا تفضحنى ..

وتروى كتب السيرة انها أقامت جسرا بين منزلها وبين بيت عثمان لتبعث اليه بالطعام وهو محاصر ..

انها لم تحب النبى فقط بل أحبت الدين وافتدته إلى النسمة الأخيرة من عمرها ..

وهنا يقف القارىء المتأمل لاهث الأنفاس متسائلا وكيف ؟ .. كيف استطاع حبها ان يعبر ذلك البحر من الدم .. وان يغلب على يهوديتها وعنصريتها وارتباطها بقومها وأبيها وأهلها الذين سقطوا بسيف الاسلام ويد محمد ..

هنا لا تجد جوابا .. الا .. محمدا .. وروحه المشعة الآسرة .. وقلبه الطيب النبيل .. وتلك القوة القاهرة وذلك المدد الالهى الذى أمده الله به يغزو قلوب اعدائه فيطهرها من الشر والغل ويستصفى منها أحلى ما فيها .. هنا النبوة التى تفسر العظمة فنحن أمام قدرة غير بشرية ..

وحكاية صفية تدحض التهمة التى اتهم بها النبى فى ان علاقته

بزوجاته كانت شهوة وان زواجه من تسع زوجات كان شهوة .. فالشهوة لا تطهر النفوس أبدا بل تزيدها ظلاما .. انما نحن أمام مودة وحنان ورأفة .. وما كان زواج محمد بزوجاته إلا عطاء للمودة وتحملا للأعباء .. فكان يضم الواحدة ومعها عيالها وكلهن كن متزوجات ما عدا عائشة ..

فأى حمل وأى اعباء .. وان الواحد منا ليعانى من ازعاج امرأة واحدة وعيالها فيضيق صدره ويخرج عن صوابه .. فما بال هذا القلب يسع تسع زوجات بعيالهن وغيرتهن ومكائدهن وازعاجهن ومطالبهن المتناقضة .. أين الشهوة هنا ؟! .. انه بلاء وابتلاء لهذا القلب وامتحان لعطائه السخى الذى لا ينفد وللحلم والصبر والوداعة والبشاشة فى تلك النفس الكريمة التى لا يعرف الغضب لها سبيلا ..

ودعونا نقف أمام هذه النفس المحمدية الصافية فى لحظة أخرى هائلة .. حينما نزل القرآن مؤكدا نفاق عبد الله بن ابى بن سلول ووقيعته بين الأوس والخزرج وفتنته بين المهاجرين والأنصار اذ يقول ابن سلول :

- لقد كاثرنا المهاجرون فى ديارنا والله ما أحسبنا واياهم الا كما قيل : سمن كلبك يأكلك .. أما والله لان رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ..

ثم قال لمن حضر من قومه .. هذا ما فعلتم بأنفسكم .. احللتموهم وقاسمتموهم أموالك .. أما الله لو امسكتم عنهم لتحولوا إلى غير

دياركم . وهى فتنة كان من الممكن أن تنسف البيت الاسلامى كله .

ونـزل القرآن مؤكـدا هذه الفتنـة .. فأيقـن الكـل ان محمـدا لابد مصدراً أمره بقتل ابن سلول ..

فأسرع ولده عبد الله إلى النبى قائلا :

- يا رسول الله ان كنت فاعلا ذلك بأبى فمرنى به وانا احمل اليك رأسه .. فو الله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده منى .. وانى لأخشىء أن تأمر به غيرى فيقتله .. فلا تدعنى نفسى أدع قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتل رجلا مؤمنا بكافر فأدخل النار ..

فبماذا أجاب النبى أمام هذا القلق النبيل بين حب الابن لابيه وحبه لدينه .. لقد أجاب فى هدوء :

- لا يا ولدى..إنا لا نقتله بل نترفق به نحسن صحبته ما بقى معنا ..

ولقـد فعـل النبى أكثر من ذلـك .. فلما مات ابن سلـول كفنه فـى قميصه وصلى عليه ، واستغفر له .. فلما رجع من ذلك .. قال فـى حزن : والله ما يغنى عنه قميصى من الله شيئا .. والله لو علمت ان استغفارى له أكثر من سبعين مرة ينجيه لاستغفرت له ..

فمن يكون هذا إلا نبيا ..

صلوات الله عليك يا محمد ..

ثم ينهى دراسته حول السيرة بحديثه عن مدرسة الرسول .. تلك المدرسة التى كان استاذها خاتم الأنبياء والمرسلين .. الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه ..

أخرجت هذه المدرسة القادة الكبار الذين غيروا مسار الانسانية كلها .. عندما انطلقت الفتوحات الاسلامية الكبرى فى عهد الراشدين لتنشر نور الله وتغير خريطة الدنيا كلها مستنيرة بنور الاسلام الذى أخذ يغزو القلوب والعقول ويمد أضواء التوحيد إلى أماكن لم تكن تخطر على بال..وهذا .. وعلى حد تعبير كاتبنا المفكر الاسلامى :

- وتلك هى اللمسة السحرية ومايفعله من نفخ الحياة فى الموتى وهو ما لا طاقة بعظيم من عظماء الدنيا ان يعمله ، بل هو النبى وحده المؤيد بقوى الغيب المحفوف بالعناية المحفوظ بالعصمة والتمكين ..

اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وخاتم انبيائه .. وحسبى من الحياة املا ان اتبع سنته وادعو دعوته وابعث فى لوائه وأحشر على قدمه .. وصلوات الله وسلامه على مولانا وسيدنا محمد إلى آخر الدهر ..

* * *

وربما الذى يشد الانسان إلى فكر مصطفى محمود .. أنه لا يردد جملا ، ولا يكرر كلمات بلهاء لا معنى لها ، ولا يملأ صفحات كتبه

بكلمات إنشائية ، أو ترديد كلمات محفوظة منقولة من كتب التراث .. ولكنه إنسان يعيش واقع عصره .. وهو عصر عجيب يفصح كل يوم عن اكتشاف جديد .. وعلم جديد ..

وقارىء الصحف اليومية يرى كل يوم عجبا مما يحدث فى عالمنا فى مختلف المجالات .. تقدم علمى مذهل .. اكتشافات جديدة .. وعلى جانب آخر نرى فناً جميلاً ، وآخر مبتذلا ، وعلى المسرح تظهر جرائم عجيبة .. كل ذلك يجرى بسرعة مذهلة ، والأنفاس لا يمكنها أن تلاحق عالمنا بانجازاته الهائلة ، وعملقته الصناعية ، وتناقضاته الرهيبة فى نفس الوقت .

وفى الغرب نفسه حيث يسابق الانسان ظله لتشييد عالم جديد .. وحياة جديدة ، نرى من فلاسفة هذا الغرب من مل الحياة الحديثة ، وضاق بها ذرعا ، ورأى فى هذه الحضارة الصناعية السبب فى تعاسة الانسان المعاصر .. وما تراكم عليه من هموم وأحزان وآلام .. فإذا بهذه المجتمعات المتقدمة جدا حضاريا بها أكبر عدد من الأمراض التى نطلق عليها أمراض المدنية .. سكر ضغط دم .. توتر فى الأعصاب .. بل ترى أكبر نسب من حوادث الانتحار .. كيف يحدث كل ذلك فى مجتمعات متطورة جدا .. أين هى هذه السعادة المزعومة التى حققها التقدم والآلة !!

ولم يكن عجيبا أن نرى حتى فلاسفة كبارا فى الغرب يلعنون هذه الحضارة ويعزون إليها كل الشرور والآلام التى يعانى منها الانسان المعاصر .. بل ان منهم من هرب إلى افريقيا الذى تصور أنها مازالت تعيش على الفطرة .. أو لم تدنسها أمراض الحضارة المعاصرة .. فعل ذلك البرت شفاتيزر الحائز على جائزة نوبل .. فقد قرر أن يترك أوربا بضجيجها .. وأنوارها المتألقة .. وعرباتها الفارهة ليعيش فى قلب القارة السوداء .

هذه الظواهر يرصدها مفكرنا الدكتور مصطفى محمود ويقف أمامها طويلا .. ليست نظرة انبهار .. ولكن نظرة فيها تأمل عميق ..

ما سر تعاسة الانسان المعاصر ..؟

وما هو الحل ليخرج الانسان من هذه الأزمة ..؟

انه لا يفعل كما يفعل بعض الدعاة حين يرددون كلمات محفوظة تخرج من اللسان فلا تصل إلى قلب أحد .. !

ولكنه يحاول أن يعرف العلل .. ليصل إلى العلاج . فحضارة الغرب حضارة عرجاء .. لأنها تسير برجل واحدة .. إنها حضارة لا يمكن مع ذلك أن تتجاهلها لأنها الحضارة التى اخترعت الدواء .. واخترعت السيارة والطيارة .. وتسبر أغوار الفضاء .. ان هذه الحضارة إذا حاولت أن تخلق فردوسا على الأرض فقد ضلت طريقها لأنها اعتمدت على

الجانب المادى فقط ونسيت الجانب الروحى .. فأصبحنا نعيش ضجيج الآلة .. ولا نسمع همسات الروح .. غرقنا فى بحار الحسية ، ونسينا رحيق الروحانية .. اننا عشنا حياة الصخب أو الصراخ .. هذه الحالات يجسدها الدكتور مصطفى محمود بقوله :

نحن فى عصر الصراخ .. مدنية اليوم اسمها بحق مدنية الصراخ .. علاقة الحب صراخ .. علاقة الزواج صراخ .. وعلاقات المجتمع صراخ طبقى .. وعلاقات الدول صراخ سياسى ، والشعارات صراخ فكرى .. والمذاهب تحريض علنى للأغلبيات على الأقليات ، والأقليات على الأغلبيات .. ولافتاتها المرفوعة هى الصراخ والهتاف والصياح والنباح .. والبيوت التى ترفع لافتة الحب على بابها .. تعيش حياة هى أقرب إلى الصراع على السلطة منها إلى تعاون المحبة والرحمة بين أزواج وزوجات .. حياة أقرب إلى صراخ يومى وتنازع حكم ورأى فى كل شىء .. وكأنما المطلب الذى يصحو به كل واحد هو من يحكم اليوم .. من يسود .. من يمسك باللجام ؟

وإذا أعوزت المرأة مبررات السيادة والقيادة التمستها بالغيرة ، واتخذت من الشك ذريعة حصار وسببا لإيداع الزوج السجن ، واعلان أحكام الطوارىء فى البيت ليل نهار ، ومصادرة الخطابات والتسمع على التليفونات وتفتيش الملابس الخارجية والداخلية .. فإذا لم تعثر على

جسم الجريمة ولم تضبط أحرازا .. فإنها تعلن أنه لابد من تفتيش الدماغ وكسرها إن أمكن بالقبقاب أو بالحجج الفلسفية حسب درجة ثقافتها ، وحسب حظها من التربية فى بيت أبيها .. فإن لم تجد شيئا فى دماغه ، فلابد أنه كان هناك شىء فى الماضى قبل أن يتزوجها .. لابد أنه كان على علاقة ما فى يوم ما .. فهذا هو شأن جميع الرجال الملاعين .. وجميع الرجال ملاعين .. إلى أن يثبت العكس ولا يمكن أن يثبت العكس أبدا ..

المهم أن يصل الحوار إلى صراخ وعويل ولطم وندب .. ومرة أخرى تتوقف ردود الفعل على حظ الزوجة من الثقافة وتربية البيت .

ودائما فى كل زوج هناك شىء ناقص .. إذا وجد الحب صرخت الزوجة لانها لا تجد كفايتها من المال ، وإذا وجد المال صرخت لانها لا تجد كفايتها من الحب ، وإذا وجد الاثنان صرخت لان الزوج له ماض ، وإذا وجد كل شىء التمست سببا للنكد فى حياة الأولاد .. المهم ان تصرخ وتفش الغل ..

ودائما هناك غل بسبب وبدون سبب وكأنما الغل هو التراث الحضارى المشترك للنساء جميعا وصدق الله العظيم حين قال فى قرآنه عن أهل الجنة : ﴿ **ونزعنا ما فى صدورهم من غل** ﴾ لان الغل هو السر فى الجحيم الذى نعيشه ، الغل فى المرأة وفى الرجل

وفى الدولة . حتى الغل فى الضحك هو عنوان تعاسة .. الضحك المغلول والتهريج المخجل والمرح الوحشى هو الآخر عنوان افتعال .. محاولة مصطنعة لتغطية أصوات القلق والحزن الدفين واليأس الأكال فى داخل القلب بأجراس الضحك وبقرع الكؤوس المخمورة .

بهذه الصورة التى تشبه الاقصوصة يأخذنا الدكتور مصطفى محمود إلى صور من الحياة اليومية التى يعيشها الانسان المعاصر .. انه يعطى صورا للتعاسة التى يتعرض لها الانسان حتى داخل بيته .. والحصار المفروض عليه من الزوجة..ومشكلات الحياة..ثم يأخذنا فى رحلته متصاعدا بها إلى محاولة البحث عن الحل . والسؤال : ماذا يريد الانسان ؟ والاجابة يريد الطريق الذى يفضى إلى السعادة ! وهنا يبرز تساؤل آخر وما هو الطريق الذى يفضى إلى هذه السعادة ؟

لقد شرح لنا كيف يعيش الانسان محاصرا تعيسا .. وكيف نفرض عليه هذه التعاسة رغما عنه .. ؟!

ويظل السؤال يلف ويدور .. ما هو الطريق إلى السعادة ؟ .. أو على الأقل إلى حياة بعيدة عن (دوشة) الدماغ..إلى الراحة النفسية .

يقول الدكتور مصطفى محمود :

والسعادة الحقة لا يمكن أن تكون صراخا ، وإنما هى حالة عميقة من حالات السكينة تقل فيها الحاجة إلى الكلام وتنعدم الرغبة فى

الثرثرة .. هى حالة رؤية داخلية مبهجة واحساس بالصلح مع النفس والدنيا والله ، واقتناع عميق بالعدالة الكامنة فى الوجود كله ، وقبول لجميع الآلام فى رضى وابتسام ، والسعادة الحقة نوع من أنواع شهود الله فى آيات عظمته ، او كما يقول محمد بن عبد الجبار : هى شهود « مالا ينقال » يقول لك ذلك الصوفى :

ان لم تشهد (مالا ينقال) تشتت بما ينقال . وتوزعت بين آلاف المقولات والمغريات .. وتعلقت بما لا يدوم وبما لا يثبت للحدثان .. كما تتعلق الموجة بالموجة ، وكما يتعلق المتحرك بالمتحرك .. والناقص بالناقص ، والزائل بالزائل .. والمنهدم بالمنهدم .. وهو مثل لجوء الخراب إلى الخراب ، والخراب لا يصلح ملجأ .. ولهذا ينتهى أمرك إلى الخيبة والفشل .

ولهذا لا يصح التعلق إلا بالله ، لانه هو وحده الثابت الصامد (الصمد) الذى لا يتغير ولا يتقلب ولا تلحق به العوارض .

وبين يدى الله ، السكينة هى الحال . والصمت هو المعرفة لان المطلق لا تسعه عبارة ولا تحيط به حروف . فالجهل هو عين معرفته والصمت هو عين ادراكه .

ولهذا يرى الصوفى محمد بن عبد الجبار ان الحب بمعناه المتداول هو :

ان تحتل امرأة عقل رجل وتسد عليه جميع أقطاره وتصبح شغله ومطلبه الوحيد . هو باب من أبواب الكفر والشرك .

ويقول الله للصوفى فى مخاطباته :

ان جعلت لغيرى عليك مطالبة اشتركت بى فاهرب هربين : هربا من الغريم وهربا من يدى . ويستعرض المؤلف الامام الغزالى :

ويقول الامام الغزالى نفس الرأى فى هذا اللون من الحب الدارج انه سقوط بالهمة .. لانه يتعلق بهواء .. تعلق الزائل بالزائل .

ولهذا وصف القرآن العلاقة السوية بين الرجل والمرأة بانها المودة والرحمة ، ولم يسمها حبا ، وجعل الحب وقفا على علاقة الانسان بالله ، لانه وحده جامع الكمالات الجدير بالحب والتحميد ، وجاءت لفظة الحب فى القرآن عن حب الله وحب الرسول . وجاءت مرة واحدة عن حب المرأة على لسان النسوة الخاطئات حينما تكلمن عن امرأة العزيز وفتاها الذى (شغفها حبا) .. وهو حب رفضه يوسف واستعصم منه واستعان بربه ، وآثر عليه السجن عدة سنين .

وهى جميعا مؤشرات تكشف عن سبب الاحباط العام والتعاسة فى مجتمعات العصر وبيوته ، بسبب حب هو كفر .. وزواج هو أنانية ، وصراع طبقى هو حقد ، ومذاهب هى انتقام ، وشعارات هى كذب ،

وعالم ضاعت منه المودة والرحمة ، وافتقد الايمان للملجأ الحقيقى ، وأصبح شعاره لجوء الخراب إلى الخراب .

لجوء الشباب إلى الجنس والمخدرات الذى لا يختلف كثيرا عن لجوء أمريكا إلى العنف .. ولجوء اليهود إلى العنصرية ، ولجوء الطبقات المطحونة إلى أوهام المذاهب المادية ووعودها وتحريضها .. ثم محاولة اغراق الخيبة النهائية والفشل النهائى فى شعار ملفق ، او دعاية كاذبة ، أو مباراة كرة ، أو صراع ثيران أو طبل وزمر ، ثم يعود فيغرق الفرد يأسه فى حب أو كأس ، او نوبة غضب او رفض لكل شىء .. او اتهام للكون وخالقه بالعبثية ، مع ان الكون كله من اكبر مجرة إلى أصغر ذرة ينطق بالنظام والاحكام والابداع ويشهد بالخطة .. وبأنه لا شىء فيه خلق عبثا .

ويرد على الماديين بقوله :

ويقول أصحابنا الماديون : ان الكلام الكثير فى الله والدين ترف ليس هذا وقته ولا أوانه .

ويقولون : لسنا ملحدين ولا دعاة الحاد ، وإنما نقول فقط : ان هذه المسائل غير مطروحة وان هذا ليس أوانها .

وأقول لهم أنا : بل هى مطروحة بشدة وهذا أوانها .

أقول لهم : ان هذا الصراخ والصياح وخراب النفوس وتمزق الأرواح سببه الأول اعتقاد أصحابها انهم يعيشون فى عالم بلا إله .. وأنهم يبحثون عن عدل دون اعتقاد في عادل .. ويحاولون النهوض بحياة يعتقدون أن مصيرها التراب .

وإذا صدقنا معهم اننا لا نملك إلا لحظتنا وحياتنا هذه ، فإنه لا يبقى أمامنا إلا أن نقاتل عليها فى بشاعة ، ثم نموت كلنا وندفن . السيد إلى جوار العبد ، وصاحب العمارة إلى جوار بوابها ، بدون معنى لكل تلك الضراوة والبشاعة التى تقاتلنا بها .

اعتقاد هو الخراب بعينه .

وحماسة تهزم نفسها بنفسها ، وتنقض نفسها بنفسها ، ولا تلد إلا نفوسا شائهة تصرخ وتصرخ بلا مقتض وبلا موجب مفهوم .

وقديما قالوا : ان البيوت السعيدة لا صوت لها ، ولا أحد يتخذ منها مادة للكلام ، ولا أحد يروى عنها قصة او يكتب رواية او ينتج فيلما .. وفى رواية الحب التقليدية يسدل الستار دائما عندما يصل الحبيب والحبيبة إلى المأذون . لأن المؤلف يتصور حينئذ أن الكلام انتهى ، وانه لم يعد هناك ما يقال : لأن السعادة بدأت .. والسعادة عنوانها الصمت .

فأين هى تلك البيوت السعيدة الآن ؟

ما أقلها ؟

والدكتور مصطفى محمود يرى ان المعراج إلى الكمال يكبح جماح النفس .. يكبح الشهوات والأهواء ، بذلك وحده يكون العتق الحقيقى للروح وتحررها من سجن الجسد . ويضرب لنا مثلا بحديث قدسى ينسب إلى الصوفى ابن عبد الجبار :

يا عبد جعت فأكلت .. ما انت منى ولا أنا منك .. عطشت فشربت .. ما أنت منى ولا أنا منك . انا اظهرت الشهوات حجابا عليك لأمتحن محبتك ، فان اخترتنى دون جميع شهواتك كشفت لك عن ذاتك ، وما عدت استرك بشهوة .. إنما الشهوة تأتيك من ناحية جسدك ، أما ذاتك فقد خلقتها خالصة مبرأة لا تميل إلا إلى وحدى .

وكلها إشارات ورموز إلى الحقيقة .

فنحن لم نوهب الشهوة لنشبعها أكلا وشربا ومضاجعة وتكديسا للمطامع والثروات .. وإنما وهبنا الشهوة لنقمعها ونكبحها ونصعد عليها كما نصعد على درج السلم .

فالجسد هو الضد الذى تؤكد الروح وجودها بقمعه وكبحه وردعه والتسلق عليه .

وبقمع الجسد وردعه وكبحه .. تسترد الروح هويتها كأميرة حاكمة ، وتعبر عن وجودها وتثبت فنها ، وتستخلص ذاتها من قبضة الطين ،

وتصبح جديرة بجنتها وميراثها .. وميراثها السماء كلها ، ومقعد الصدق إلى جوار الله .. وهذه هى السعادة الحقة .

لأمر يجهله الكثيرون .. وباسم الفكر والتحرر والانطلاق .. وباسم ضرورة الانطلاق إلى حضارة العصر ومدنية العصر ، انطلقت صيحات ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب . موجات كثيرة هبت على عالمنا الاسلامى مطالبة بإقامة جسور بين الحضارة الغربية وحضارتنا .. وطبعا ليست هناك ندية بين حضارة الغرب المتقدم جدا ، وحضارة الشرق المتخلفة .

ولا بأس أن نأخذ من الحضارة الغربية ما يروق لنا ، وما يساعدنا على النهوض والتقدم .. نأخذ منها العلوم التجريبية ، والرياضيات ، والاستخدامات العلمية ، ولكن علينا أن نحذر من الفكر الأوربى وتياراته ونأخذه على ما هو عليه .. ! أو حذار بما نطلق عليه الغزو الفكرى .

وطبعا ليس كل فكر الغرب يعتبر غزوا فكريا.. بل علينا أن ندرس الفكر الغربى بتياراته وفلسفاته المختلفة ، ولكن لا نختار منه إلا ما ينفع الناس .. وإلا ما يساعدنا على التطور والنهوض ..

فما أكثر الأفكار الغربية التى تلبس ثوب العلم والفكر وهى سم زعاف ، ولا تجنى البشرية من ورائها إلا كل ما من شأنه نشر الحزن

والتعاسة والاكتئاب . وكم من النظريات العلمية روج لها اليهود فى العالم كله ، ومن يقرأ برتوكولات حكماء صهيون يعرف كيف استغل اليهود العديد من النظريات فى سبيل تحقيق هدفهم. خذ مثلا قولهم :

- إن دارون ليس يهوديا ولكنا عرفنا كيف ننشر آراءه على نطاق واسع ونستغلها فى تحطيم الدين . ولقد فطن الكثير من المفكرين فى الغرب نفسه لهذا الدور الخطير لليهود فى الفساد والافساد باسم الفكر ، حتى أننا نرى المؤرخ الكبير أرنولد توينبى يقول فى حديثه عن الماركسية وكارل ماركس : - أحل كارل ماركس الحتمية التاريخية معبودا له محل أحد آلهة إله إسرائيل ، وجعل من البروليتاريا الداخلية للعالم الغربى شعبه المختار مقام اليهود ، وجعل من ديكتاتورية البرليتاريا مملكة المسيح .. وقد برزت السمات اليهودية من خلال هذا الرداء المهلهل .. !

واليهود هم الذين تحدثوا أيضا عن اهتمامهم بنظرية فرويد .. تلك النظرية التى تصبغ كل شىء بصبغة الجنس. وقد جاء فى برتوكولاتهم :

- يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق فى كل مكان فتسهل سيطرتنا .. ان فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية فى ضوء الشمس لكيلا يبقى فى نظر الشباب شىء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه ..

وقد أعجبتنى دراسة قام بها عبد الحميد جودة السحار (وعد الله وإسرائيل) يلقى الضوء فيها على هؤلاء اليهود الذين يأخذون المذاهب رالآراء التى يمكن بها هدم القيم الروحية ونشرها فى الشرق والغرب على السواء .. فهم قد روجوا لنظرية دارون ، ولنظرية فرويد ، ولنظرية نيتشه ونظرية إميل دركايم فى علم الاجتماع ..

نيتشة مثلا كان يردد مثل هذا الكلام السخيف - ان فكرة الله تسقط ظلال الخطيئة على براءة الأرض ، فانه لابد للمؤمنين بالحس الأرضى من أن يهووا بمعاولهم على تلك الفكرة !

ويقول نيتشه : طوبى لأنقياء القلب لأنهم لا يعاتبون الله . لقد صرنا بشرا ولذا فإننا لانريد إلا ملكوت الأرض .. إلى أين مضى الله ؟

سأقول لكم إلى أين مضى ! لقد قتلناه .. أنتم وأنا .. أجل نحن الذين قتلناه ..نحن جميعا قاتلوه .. ألا تشمون رائحة العفن الالهى ؟ إن الآلهة أيضا تتعفن .. لقد مات الله وسيظل الله ميتا !!

وتهللت اليهودية العالمية فرحا بمثل هذه الأقوال التى تنم عن تعفن أرواح الفلاسفة ، يخرج اليهود فى تحقيق مخططهم لافساد كل دين إلا الدين اليهودى وقتل كل إله إلا إلههم الغيور ..

* * *

و .. ما أكثر ما نرى من أفكار الغرب الملحدة والمفسدة .. وآخر هذه الأفكار .. وجودية سارتر الفيلسوف الفرنسى الملحد .

.. هذه الأفكار الغريبة لا ينبغى الترويج لها ولابد أن نتحصن ضدها بالعلم والايمان ..حتى لا ننخدع فى زيف هذه الفلسفات التى لم ترسم طريقا ، ولم تحقق أملا ، ولم تعالج مشكلة ، ولا حلت ألغاز الكون .. ولا لغز الانسان .. بل زادت العتمة ، ونشرت الظلام ، وجعلت الشباب يتخبط بأفكار يرددها كالببغاء دون أن يفهم هذه الفلسفات أو الهدف منها .

يقول الدكتور مصطفى محمود محللا هذه الظواهر والتيارات :

وعلى نهج فرويد فى تفسير سلوك الانسان بالحوافز الجنسية سار الفكر المادى الماركسى فى تفسير سلوك التاريخ بالحوافز المادية . ثم جاء هربت ماركوز ليستفز الشباب إلى حالة رفض مطلق وثورة مستمرة لتفجير المجتمع بعد أن تكاسلت البروليتاريا عن تلبية نداء الفكر الماركسى لتهديم البنيان الاجتماعى وأخلدت إلى الترف وإلى رشوة الراحة والبقشيش السخى الذى قدمته اليها الرأسمالية الغربية .

وليست مصادفة أن رواد تلك الأفكار المادية كانوا جميعا من اليهود ..

ثم سؤال على الهامش :

هل صحيح أن النظر المنصف إلى الوجود وتأمل الحياة فى موضوعية يؤدى بالانسان إلى حالة من الغثيان والقىء والعبثية والاحساس بعدم الجدوى ، ويخلف احساسا بأن الانسان قذف به فى الكون وترك وحده بلا عناية ؟

وهل صحيح ان الانسان يدور فى فلك أعضائه التناسلية ؟

وهل من الممكن تفسير جميع مراحل التاريخ بالصراع الطبقى ؟

وماذا نقول فى الصراع بين روسيا والصين وكلاهما نظام واحد وكلاهما بروليتاريا .. وصراعهما مع ذلك يشكل التاريخ .

وماذا نقول فى فدائى يموت فى فيتنام او القدس .. هل يدور فى فلك أعضائه التناسلية .. وهو الذى يضحى بجسده كله فى سبيل حق مجرد ومثاليات صرفة ؟

أما خرافة الغثيان والقىء والعبثية .. فهى عبثية عند سارتر وحده وقىء خارج من مناخ نفسى وحالة باطنية يعانيها هو .. أما الكون فهو برىء من العبثية ، منضبط أكثر من ساعة الكترونية - سواء نظرنا إلى الذرة وهى أصغر ما فيه أو إلى المجرة وهى أكبر عوالمه .

فى الذرة لا يستطيع الكترون أن ينتقل من مدار إلى مدار إلا إذا

أخذ أو أعطى شحنة تساوى حركته من النواة او اليها .

وهذا هو حال الالكترون الذى لا يعرف له جرم من فرط صغره . وفى المجرة العظيمة تولد الشموس وتشب وتشيخ وتموت وتتحرك فى أفلاك وتدور حولها الكوكبات ، كل هذا يجرى فى دقة ونظام وفقا لهندسة مقدرة وقوانين ثابتة لا تخرق .

أما الانسان فلم يقذف به إلى الكون بلا عناية . بل العكس هو الصحيح .. فالعناية الالهية حفت به من لحظة ميلاده .. بل من لحظة تكوينه فى رحم أمه .. فالعناية سلحته بجميع وسائل الدفاع التى يحتاجها .. سلحته بالسمع والبصر واليد والعضل والحيلة والذكاء والعقل .

وفى المخ وحده عشرة آلاف مليون خط عصبى تنقل الاشعارات وردود الأفعال طول الوقت بلا خطأ وبلا عطل .

وفى الكليتين والرئتين والكبد زيادة وافية فى النسيج العامل تبلغ سبعة أضعاف الحاجة .. وهذه الزيادة هى الاحتياط « الاستبن » الذى وهبته العناية الالهية لمواجهة الأعطال والطوارىء المحتملة .

ويموت فى الساعة من جسم الانسان ستون مليون خلية ، تتجدد فى نفس الوقت فى تلقائية ودقة ونظام بديع ..

وفى الخلية الواحدة التى تبلغ فى صغر حجمها واحدا من الف من المليمتر .. فى داخل هذه الخلية الدقيقة نرى بالمجهر الالكترونى مصانع ومخازن وجهازا لتوليد الطاقة « وأرشيف » ومخا آليا لتنظيم هذه الأنشطة المختلفة..كل هذا داخل صندوق هو جزء من الف من المليمتر .

ان لم يكن هذا هو منتهى العناية من الخالق .. فماذا يكون ؟ وماذا يكون كلام سارتر عن العبثية فى الوجود وعن الانسان الذى قذف به فى الوجود بلا عناية ؟ إلا الجرأة على الحق بعينها ، وإذا كان مراد سارتر بالعبثية هو ما يجرى على الانسان من مرض وشيخوخة ، ثم موت ، وما يجرى على الحياة من كوارث وأوبئة وزلازل وبراكين وطوفانات وحروب مهلكة ، فهذه كلها أمور عارضة ونحن نمرض ونصح . وبدون المرض لا نعرف الصحة .. والمرض هو الاستثناء والصحة هى القاعدة .

والزلازل والبراكين والطوفانات حوادث استثنائية وكل منها له وجه خير ومنافع وفوائد . وبالزلازل والبراكين تستعيد الكرة الأرضية توازنها كل عدد من السنين ، ولولا هذا التفريج والتنفيس المؤقت لانفجرت الأرض بالضغوط الهائلة فى داخلها .

والآلام والمشقات تربى الجلد والتحمل ، والمحن تشحذ العزائم كما تربى الأمراض الوقاية والحصانة .

والشر فى الكون كالظل فى الصورة يبدو من قريب عيبا ، فإذا ابتعدت بعينيك ونظرت إلى الصورة نظرة كلية اكتشفت أن هذا العيب هو ظل ، وانه جزء مكمل للصورة .

وفى هذا يقول ابن عربى : إن نقص العالم هو عين كماله ، كما أن اعوجاج القوس هو عين صلاحيتها ، ولو انها استقامت لانكسرت ولما رمت .. ثم ان عالم الدنيا كله عالم عارض زائل . ولذلك كان شره عارضا وزائلا ، وقد جعله الله مقدمه لخير باق فى الآخرة .

والموت ليس نهاية وإنما بداية لفصل اخر ، وحياة اخرى ... والحكم على رواية بقراءة سطر واحد منها لا يكون حكما صحيحا ، وانما يجب الانتظار الى ان تتم الرواية فصولا قبل ان نحكم عليها .

ثم هل يجب على الله ان يحقق السعادة للجميع . ولماذا ؟ وكيف نوجب على الله ما نجهل؟ وكيف نلزمه بطرق تفكيرنا ووجهات نظرنا ؟

وهؤلاء الذين يريدونها جنة هل يستحقونها جنة .. وهم ينفثون فيها الشر والحقد والسم فى كل لحظة ؟

ويقول الغزالى فى ذلك ويؤيده فى رأيه ابن عربى : ان الانسان لا يجرى عليه قضاء الا من جنس استحقاقه . « لا يظهر فيك ولا منك الا عينك » .

بمعنى انه لا يجرى عليك من الحوادث إلا من جنس قلبك ونيتك وضميرك .

ويقول ميترلنك فى هذا المعنى : « جرعتك من الماء دائما تساوى سعة فمك .. أنت لا تقابل إلا نفسك فى الطريق .. إذا كنت لصا أسرعت اليك حوادث السرقة ، وإذا كنت قاتلا قدمت اليك الظروف الفرصة تلو الفرصة لتقتل » .

ان الله صاغ العالم على مقتضى العدل واختار بحكمته دائما أفضل الممكنات .

وتأمل الكون والحياة لا يكشف للباحث إلا الجمال والابداع والنظام والعدل والقانون . ولا توجد الفوضى إلا فى نظمنا نحن .

ولكن العيون التى فيها قذى ، والقلوب التى مالت عن الحق .. لا ترى إلا العبث والغثيان .. ولا تعمل إلا للافساد والتهديم .

هؤلاء هم فرسان الشر وطلائعه .

فلنقرأ كل ما يصل إلى أيدينا بحذر وبعقل ناقد ، فما أكثر ما يدس لنا من سموم يراد بها هلاكنا .

ولنثق دائما بأن الله كله خير ، وبأن مشيئته كلها رحمة .

* * *



الفصل الثانى

المشهد الأخير
فى
خاتمة الزمان !



وإذا كان الدكتور مصطفى محمود يلقى الأضواء على ما فى بعض التيارات الفكرية المعاصرة من زيف وباطل .. فهو فى نفس الوقت يقدم برنامجه العلمى الشهير (العلم والايمان) حيث يبرز من خلاله عظمة الله فى ونه من خلال مخلوقاته وظواهر الكون المختلفة ، وما تحوى من عجائب ، وقوانين .. ان دلت على شيء ، فإنما تدل على وحدة الخلق ، وعلى عظمة الخالق . فهو مثلا يحدثنا عن الماء . أو هذا السائل السحرى .. الذى بدونه لا وجود للحياة . فالحياة هى نقطة الماء .

إنه هنا يدخل بنا إلى عالم العلم .. ويضع نقطة الماء التى بدونها لا وجود للحياة تحت مجهر البحث .. إن نقطة الماء عالم عجيب .. كون يعج بالأسرار .. ولا تملك وأنت تقرأ دراسته عن هذا السائل السحرى إلا أن تقول (لا إله إلا الله) .. إنه يكشف بعض مكتشفات العلم التى تجعل الانسان يحنى قامته ، ويسجد لله شكرا على ما منحنا من نعماء ، لا نعرف قيمتها إلا إذا فقدناها .. لا نعرف طعم الماء ولا قيمته إلا إذا شعرنا بالعطش ، كما لا نشعر بقيمة الصحة ونراها تاجا على رؤوس الأصحاء إلا إذا مرضنا . لا نعرف قيمة البصر إلا إذا فقدنا البصر وكذلك لا نعرف قيمة أى حاسة من الحواس التى وهبها لنا الله كنوافذ

نطل من خلالها لمعرفة أسرار الكون والحياة ، إلا إذا فقدنا حاسة من تلك الحواس ، يومها نعرف أى نعمة أنعم بها الله علينا ، ولكنا لا ندرى .. فقد أخذتنا دوامة الحياة اليومية وغرتنا الأمانى.. فاذا بنا نيام لا يوقظنا إلا الموت ..

يقول الدكتور مصطفى محمود :

أما العلم فيقول لنا : إن الماء هو أعجب المركبات على الاطلاق . فأكثر من ثلثى الجسم الحى بالوزن مؤلف من الماء . وثلاثة أرباع سطح الأرض مغطى بالماء .

وعندنا ٣٢٥ مليون ميل مكعب من الماء فى المحيطات وجليد القطبين . وثلاثة آلاف ميل مكعب من الماء معلق فى السماء على شكل بخار ، ومليونا ميل مكعب من الماء فى جوف الأرض .

وبعض الكائنات تستطيع أن تعيش بلا هواء . ولكن لا يوجد كائن واحد حى يمكن أن يعيش بلا ماء .

والماء الذى تقول عنه الكيمياء إنه بلا لون وبلا طعم وبلا رائحة ، نعود فنصفه بأن له أعجب وأخطر الخواص فى دنيا المركبات .

فجميع السوائل تنزل إلى تحت بالجاذبية إلا الماء فهو يصعد إلى فوق ضد الجاذبية « بالخاصة الشعرية » . وبهذا هيأته طبيعته ليصعد فى

جذوع الشجر والنخيل والنبات إلى أى مدى من النماء .. ولولا ذلك لما ارتفعت ساق خضراء فوق الأرض .

* وجميع السوائل تنكمش بالبرودة وتزداد فى الوزن إلا الماء ، فهو يتجمد بالبرودة ، ويخف فى الوزن .. ولذلك أمكن لصفائح الجليد البارد أن تطفو وتغطى مياه القطبين وتحفظ المياه تحتها دافئة « بالعزل » صالحة لحياة الأسماك والحيتان ، ولولا ذلك لماتت الحياة البحرية فى الشتاء وتحولت البحار إلى جمد مهلك .

* والماء بحسب تركيبه الذرى كان لابد أن يتجمد فى درجة مائة تحت الصفر ويسيل فى درجة تسعين تحت الصفر ، هكذا تقول لنا علومنا الذرية .. وكان معنى هذا ألا يتواجد فى ظروف الأرض إلا على هيئة بخار ..

ولكن الذى حدث أنه يتجمد فى الصفر ويغلى فى مائه ، وبهذا أمكن له أن يتواجد فى المكان الواحد من الأرض على هيئاته الثلاث ، بخار ، وسائل ، وصلب ، وهو أمر آخر حيوى كان لابد من توافره لتقوم على الأرض حياة .

* والماء هو السائل الوحيد الذى يملك قدرات خرافية على إذابة الأشياء والتفاعل معها .. فهو يأكل الحديد . والصخر .. ونصف المركبات المعروفة وجدت ذائبة فى الماء .

* والجزىء المائى كما يشرحه لنا علم الطبيعة الجزيئية هو الآخر جزىء خارق مدهش .. فالأكسوجين ملتحم بالأيدروجين على طريقة العاشق والمعشوق ، والذرتان داخل بعضها فى بعض .. والألكترون الوحيد فى ذرة الأيدروجين داخل فى ذرة الأكسوجين ، وله وظيفة فى مدارها .. مما أدى إلى استقطاب الجزىء استقطابا كهربائيا ، فأحد طرفى الجزىء موجب « وهو الطرف الأيدروجينى » . والطرف الآخر سالب « وهو الطرف الأكسوجينى » .

وهذه الصفة العجيبة جعلت من الجزىء شيئا أشبه بمغناطيس ، وجعلت الجزيئات تتماسك بشدة وتتجاذب كما تتجاذب عدة من المغناطيسات ، مما أدى إلى ظاهرة التماسك السطحى التى نسميها ظاهرة التوتر السطحى للماء Surface tention فيمكنك أن تضع شفرة حلاقة من الصلب برفق فوق سطح الماء فتطفو بسبب هذا التماسك السطحى الذى لا يسمح لشىء باختراقه . وتكهرب الجزيئات المائية هو الذى يفسر الخاصة الشعرية Capillarity وهى الخاصة التى يتسلق بها الماءإلى أعلى ضد الجاذبية ، والواقع أنه يتسلق بالجذب المغناطيسى بين ذراته وبين جدران الأوعية الشعرية . وبالتالى يجذب السطح المائى كله معه « لأن السطح كله متماسك » .

وهذه الصفات الكهربائية للجزىء هى السر فى قدرة الماء الخرافية

على الاذابة .. لأن الطرف الموجب للجزىء يشد إليه الشق السالب من أى مادة ، والطرف السالب يشد إليه الشق الموجب فتنحل المادة إلى شقيها السالب والموجب ، وهو ما نسميه بالأيونات السالبة والموجبة وتتأين المادة .. أو تذوب بلغتنا الدارجة .

* وربما كان أعجب ما فى الماء قدرته على خزن وتصريف الحرارة . وكلنا نعلم من خبراتنا العادية أن قضيبا ساخنا من الحديد يمكن أن يبرد فى ثوان ، على حين يظل الماء ساخنا فى البانيو ساعات قبل أن يعود إلى برودته .

وهى صفة تصبح حيوية جدا حينما نعلم علاقة تبادل الطاقة بين مياه المحيطات والشمس .

فالمحيطات هى الغلاية اليومية التى تسخنها الشمس فتتبخر مياه المحيطات بالحرارة وتصعد إلى السماء .. ثم إلى أعلى .. إلى أجواء السماء الباردة فتتكثف سحبا . ثم تهطل أمطارا ، ثم تسيل أنهارا لتصب فى المحيطات من جديد .

وتبلغ الطاقة الشمسية الحرارية المستخدمة فى هذه الدورة فى اليوم الواحد أكثر من كل ما أنتج الانسان من طاقة خلال تاريخه كله .

والذى يقتنص هذه الطاقة ويحفظها ويصرفها ويوظفها هو جزىء الماء العجيب .

والماء يتبخر من المحيطات ثم يعود إلى المحيطات من جديد فى كم كلى ثابت لا ينقص ولا يزيد .. وهذه معجزة أخرى .. فمنذ ثلاثة آلاف مليون سنة منذ بدء الماء على الأرض وكميته ثابتة لاتزيد ولا تنقص .. وربما كان الماء الذى تصنع منه اليوم كوبا من الليمونادة هو نفس الماء الذى « استحمت » به كليوباتره ، وهو ذاته الذى تمضمض به خوفو من آلاف السنين .

* والماء الذى اقتنص الطاقة من الشمس يعود فيصبح مصدرا للطاقة وتنظيم الطقس .. ثم يعود فيصبح مصدرا للطاقة من باب آخر هو مساقط الماء والشلالات والقناطر والسدود .

* والماء هو النحات اليومى الذى يقوم بتشكيل القارات والشواطىء والسواحل ، ويقوم بحفر مجارى الأنهار وقيعان البحيرات ، وهو الرافعة السحرية التى تنقل الجبال وتمهد الوديان .

هذا ما يقوله علم الطبيعة والكيمياء والجيولوجيا عن الماء .. وما تراه العين المجردة من شأن الماء .

أما فى مجال البحث المجهرى وما يراه الميكرسكوب فى نقطة الماء فهو الأمر المدهش والمثير .

فنقطة ماء من مستنقع تحتشد فيها عدة آلاف من أصناف الأحياء

وعدة ملايين من الكائنات الدقيقة من فيروسات وبكتريا وفطر وطحلب .. شعوب وممالك وأمم من الكائنات يأكل بعضها بعضا وتتعايش وتتعامل وتتنافس وتتسابق .. وكل ذلك فى نقطة ماء من مستنقع على كوكب هو ذاته أصغر من هبأة فى الكون الواسع .

ليس عجيبا بعد كل هذا أن نرى الماء مذكورا فى القرآن فى ٦٤ موقعا على أنه نعمة كبرى يمن بها الخالق على عباده .

﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهورا ﴾ .

﴿ ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات ﴾ .

﴿ وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ .

﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض ﴾ .

﴿ وجعلنا من الماء كل شىء حى ﴾ .

﴿ خلق كل دابة من ماء ﴾ .

﴿ خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ﴾ .

﴿ أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ﴾ .

وفى أجمل الآيات يقول الله فى مبدأ الخلق : وكان عرشه على الماء .

وإذا اعتبرنا الآية تعبيرا بالمجاز عن عظمة الماء وخطره فالمعنى واضح ، فقد رأينا أن الحياة كلها عبارة عن محلول مائى وأن الماء هو وسيط الفعل الالهى فى المخلوقات جميعها فعرش الله وسلطانه وقبضته تتم كلها من خلال الماء .

أما إذا وقفنا عند الحروف واعتبرنا المعنى لغزا مما لا يعلمه إلا الله .. فإنه منتهى التشريف أن يجىء ذكر الماء مقترنا بالعرش الالهى . وهو تشريف قد رأينا أسبابه .

ألم نجد فى نقطة الماء الواحدة أمما وشعوبا وقبائل وملايين الخلائق مما لاترى العين .

ألم نجد فى جزىء الماء البسيط معجزة تركع أمامها علوم الكيمياء والطبيعة والجيولوجيا وتحار فيها عقول العارفين .

هذا الجزىء الذى يخزن الطاقة ويفجر الحياة ويذيب الصخر وينحت القارات وينظم الطقس . هذا اللؤلؤ المذاب والماس السائل الذى يجرى على حلق العطشان أحلى من القبل وأعذب من صرافة الخمر .

حقا .. ما أحفل هذه الكلمات القليلة بالأسرار حينما ترتلها القلوب وتتأمل العقول

﴿ وكان عرشه على الماء ﴾

* * *

الدكتور مصطفى محمود فى كتاباته ودراسته هو فى الواقع داعية بأسلوب جديد .. وفكر جديد .. ووعى جديد .

أنه يدعو الى الله على بينة وعلى علم .. متسلح بسلاح العلم .

فقد درس التاريخ الاسلامى ..

ودرس الفكر الاسلامى بشتى مدارسه .

وتابع التطور العلمى وربط بينه وبين الايمان كما أن دراسته للطب ، أتاحت له معرفة الكثير من أسرار الجسم الانسانى .. وكيف يعمل .. وما الذى اكتشفه العلم فى هذه القارة المطمورة فى أعماق كل منا .. وما الذى وقف العلم أمامها عاجزا حتى الآن وما هو مستحيل أن يجد له العلاج فى يوم من الأيام وهو لغز الموت .

بكل هذه الأسلحة دخل مصطفى محمود ميدان الدعوة الى الله بعقل متفتح ، وفكر مستنير ..

ولكنه مع ذلك درس التراث الدينى لمختلف الأجيال - إن صح التعبير - فدين الله واحد .. ولكن عندما طال الأمد بين نبى ونبى دخلت الخرافات والخزعبلات ، وابتعد الناس عن أسس الدين السليم فانحرفوا الى أن يأتى نبى جديد .. يصحح مسار الدعوة الى التوحيد ويضيف من التشريعات ما يحتاج إليها العصر الذى جاء فيه .

والتوارة كما نزلت على موسى عليه السلام .. كتاب من الله .

ولكن اليهود زوروه وزيفوه ، ووضعوا فيه ما لم يجيء على لسان موسى .. لقد وضعوا فيه ما يتفق مع أهوائهم وأهدافهم فى الحياة ..

ومعروف أن اليهود عندما هزمهم بختنصر (يدخذ نصر) وأخذهم أسرى فى بابل ..

هناك أخذوا يكتبون التوارة ، ويزيفون فيها كما يشاء لهم الهوى .

والقارىء للتورارة يرى فيها العجب العجاب .. أنبياء زناة ، وأنبياء يفعلون ما لا يمكن أن يتصوره خيال من بعد عن القيم والمبادىء النبيلة .. كل هذا نجده فى التوارة . وقد ألف الدكتور مصطفى محمود كتابا عن التوارة وأوضح فيه ما زيفه اليهود ، وما دسوه على التوارة الحقيقية .

« يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله »

ويقول الدكتور مصطفى محمود :

والقراءة المتأنية للتوراة المتداولة لا يخرج منها القارىء بأنه أمام كتاب أوحى به الله . فالأنبياء الذين تعارفنا على اجلالهم واحترامهم نراهم فى التوراة عصبة من الأشرار .. سكيرين ولصوصا وزناة وكذابين

ومخادعين وقتلة .. والله نراه يفعل الفعل ثم يندم عليه ويختار رسوله ثم يكتشف أنه قد أخطأ الاختيار .. وكأنه لا يدرى من أمر نفسه شيئا ولا يعرف ماذا يخبئه الغيب ونرى الله فى التوراة ينام ويستيقظ ..

ونقرأ فى سفر زكريا الاصحاح الثانى :

«اسكتوا يا كل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه »

الرب فى التوراة يخلق العالم فى ستة أيام ثم يتعب ويحل عليه الارهاق فيستريح !

أما الأنبياء فقد قارفوا جميع الخطايا .

نقرأ عن نوح عليه السلام أنه شرب خمرا حتى سكر وتعرى داخل خبائه . ورأى ابنه حام عورته فأخبر أخاه سام فجاء سام ويافت وسترا عورة أبيهم . فلما تيقظ الأب وعلم بالأمر دعا باللعنة على حام ونسله من الكنعانيين يكونون عبيدا لسام مدى الدهر .

والغرض السياسى هنا واضح بالنسبة لليهودى الذى كتب هذا الكلام فهو يدعو على أبناء حام وهم الفلسطينيون والمصريون بأن يكونوا عبيدا للساميين اليهود وتحت حكمهم مدى الدهر .

ويورد النص :

والتوراة جعلت من هذا الشعب اللص السكير الزانى شعب الله

المختار بعدهم الأرض من النيل الى الفرات .

فى كل مكان تدوس بطون اقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان من النهر نهر الفرات الى البحر الغربى تكون تخومكم .

وقد اختارك الرب لتكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض وجعلوا من الرب طاغوتا دمويا يستبيح لهم جميع الأمم .

ويأخذنا مصطفى محمود فى رحلة شائقة عبر التوراة ويوضح للقارىء التناقضات التى بها . والتى يستحيل أن تكون من عند الله . لأن كلام التوراة على أنبيائها يدل على أن هؤلاء الأنبياء كانوا أشبه بدراويش الحسين .

كل من ليس مسحا ونطق برؤيا فهو نبى .

وهذا يفسر لنا هذه الكثرة العجيبة ، ويفسر لنا هوان شأن النبى عند التوراة .

« قل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم إسمعوا كلمة الرب .. هكذا قال السيد الرب .. ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئا ، أنبياؤك يا اسرائيل صاروا كالثعالب فى الخرائب »

ومعنى الآية أنه كان هناك غير الأربعمائة نبى أنبياء كثيرون آخرون مدعون « وأنت ا ابن آدم فاجعل وجهك ضد بنات

شعبك اللواتى يتنبأن من تلقاء ذواتهن » .

وكانت هناك مدعيات نبوة أخريات ، لقد اختلط الحق بالباطل ، والزائف بالأصيل .

والتوراة التى بين أيدينا هى شاهد عدل على هذا التشويش ، لقد أصبح القارىء يواجه منتدى من الأنبياء يزيد ادعياؤه على الألف نبى ونبية .

وبعد أن يوضح لنا الدكتور مصطفى محمود تناقضات التوراة وتزييفها للحقائق .. ومن خلال النصوص الواردة فى التوراة ، يحدثنا فى نهاية فصول كتابه عن نبوءات أخر الزمان ..

ويقول :

- لا تذكر مصر فى التوراة إلا ويتهددها رب اسرائيل بالويل والثبور وعظائم الأمور .. وتكاد تكون التوراة منشورا سياسيا ضد مصر .

وتهاجم التوراة المسلم والمسيحى .. وترى أنه سوف تلحس الشعوب والأمم فى آخر الزمان تراب نعل حذاء اسرائيل . فلا رب إلا لاسرائيل . ولا رب للشعوب والأديان الأخرى . والرب لا يفكر إلا فى مصلحة شعبه الحبيب اسرائيل ..

أما الباقون فعليهم أن يلحسوا غبار نعل حذاء اسرائيل !

والدكتور مصطفى محمود وهو يحلل التوراة يرى أن إثبات التحريف

فيها شيء سهل بسيط .. فإثبات التحريف لا يحتاج إلى أدلة من الخارج .. فالتوراة نفسها تعطيه المفتاح .. وتعطيه الأدلة على تحريفها :

ونسوق أمثلة :

اسمع داود فى المزايد الاصحاح ٥٦ يقول :

« ماذا يصنعه بى البشر .. اليوم كله يحرفون كلامى »

(وأرميا :)

قال الرب بالكذب يتنبأ الأنبياء باسمى لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم بالرؤى الكاذبة ومكر القلب يتنبأون .

(أرميا ١٤)

أما وحى الرب فلا تذكروه بعد

لأن كلمة كل إنسان تكون وحيا

اذ قد حرفتم كلام الاله الحى رب الجنود إلهنا

(أرميا ٢٣)

* هأنذا على الذين يتنبأون بأحلام كاذبة

(أرميا ٢٣)

و .. هكذا ..

ويختم الباحث الدكتور مصطفى محمود دراسته الممتازة عن التوراة قائلا :

أما نبوءات أخر الزمان الواردة فى التوراة عن ارتفاع شأن اسرائيل ، فالقرآن عندنا يتنبأ بمثلها بأن اسرائيل سيكون لها علو وطغيان فى أخر الزمان .. ولكن مع الفارق .. أنه سيكون علو ينتهى بهزيمة وخراب وتحطيم لما بنت اسرائيل وعمرت .. وليس كما تقول نبوءات التوراة علوا إلى نصرة مطلقة وسيادة على العالمين إلى يوم الدينونة .

وفى مثل تلك النبوءات لا تصلح الأقلام حكما وإنما التاريخ وحده هو الحكم العدل . فليتوجهوا إلى ربهم الذى تصوروه لهم وحدهم .. رب اسرائيل

ولنتوجه نحن مسلمين ومسيحيين إلى رب كل شىء رب السماوات والأرض .. رب العالمين ..

وندع القلم لمن يحضر المشهد الأخير فى خاتمة الزمان ليسطر نهاية الكتاب بما يرى ويشهد ..

* * *



الفصل الثالث

الذين يمتصون دماء العرب !



كرس الدكتور مصطفى محمود قلمه للدفاع عن الاسلام على المستوى الفكرى ، وعلى المستوى السياسى . وعلى المستوى الفكرى بتوضيح صحيح الاسلام .. البعيد عن الغلو والتطرف . وعلى المستوى السياسى بكشف ما يحاول الغرب الآن بتشويه صورة الاسلام ، وأنه العدو الجديد بعد سقوط الاتحاد السوفيتى ..كما أنه يتصدى لمؤامرات الصهيونية وإزاحة النقاب عن وجهها الحقيقى .

كما يبرز دائما أوضاع عالمنا العربى وما فيه من إنقسامات لا يفيد منها إلا الأعداء .. الذين يمتصون دماء العالم العربى ، ويأكلون ثرواته .. باختلاق المشاحنات والخلافات بين أبناء العقيدة الواحدة ، حتى يتمكنوا منه كما حدث عندما غزا صدام حسين الكويت ، ومهد الطريق بذلك إلى التدخل الأجنبى ، وسحق القوات العراقية ، وإذلال شعب العراق وفرض الحصار عليه .. كل ذلك بفضل حماقات حاكم العراق .. وهوسه .. وولعه بالزعامة الزائفة : وعلى كل هذه الجبهات يقف قلم كاتبنا .. يوضح معالم الطريق ، ويبرز زوايا الصورة .. وينبه إلى أهمية أن يفيق العرب حتى لا يقعوا فى مخالب الأخرين .. وحتى لا يفقدوا استقلالهم وحريتهم .. وهم غافلون عما يدبّر لهم فى الخفاء ..

فهو فى كتابه (المؤامرة الكبرى) الذى يضم العديد من المقالات

يكشف النقاب عما يجرى من مؤامرات على العالم الاسلامى من وراء الستار ، كما يلقى الأضواء على العديد من المشكلات التى تهم العالم الاسلامى المعاصر ، فى ظل المتغيرات الدولية ..

إنه يصور الخداع الذى ترسمه الصهيونية لتشويه معالم الصورة .. وما تحمله النوايا الاستعمارية من خطط لانهاك قوانا على كل المستويات حتى يكون الأخرون هم الذين يرسمون أقدارانا .

إنه يقول : الذين كذبوا على العالم وقالوا إن المانيا النازية أحرقت ستة ملايين يهودى فى محارقها بينما لم يزد العدد الحقيقى للقتلى على بضعة ألوف هم نصف الذين قتلوا وذبحوا من مسلمى البوسنة . تسمعهم اليوم يكذبون مرة أخرى على العالم ، ويروجون فرية أخرى بأن عدو الحضارة الذى تبقى بعد سقوط الشيوعية هو الاسلام (الاسلام المضروب فى كل مكان والمطارد والمستسلم والذى لا يجد أهله القوت وشربة الماء)

ونفس تلك الأيدى رأيناها تستأجر عصابات الارهاب لتخرب وتنسف وتقتل فى كل مكان تحت غطاء إسلامى وتحتضن تيارات منبوذة ضالة لمجرد أنها مسلمة بالاسم والبطاقة لتتخذها ستارا لهذا التشويه وأداة لهذا التلطيخ الذى تخططه للاسلام والمسلمين .

ورأيناها من قبل تتخذ عميلا مثل صدام حسين تدفعه إلى

انهاك العراق وايران الاسلاميتين واستنزاف قواهما فى حرب عقيم .. ثم تعود فتستدرجه إلى حرب أخرى عراقية كويتية تتخذ منها ذريعة للتدخل العالمى الشامل للقضاء على ما يتبقى من الترسانة العراقية ، ولنهب الأموال العربية ولوضع النفط العربى تحت الاحتلال والوصاية ..

والمؤامرة الكبرى مستمرة .. والكشف عن هذه الأيدى المجرمة هو موضوع الكتاب

وعندما نجوب صفحات هذا الكتاب .. نتوقف عند بعض التحليلات لما يجرى فى عالمنا العاصر من أمور .

إنه يحدثنا مثلا عن الأصولية المسيحية واليهودية .. فيورد لنا بعض حقائق ما يجرى فى عالمنا من تيارات ..

يقول لنا : منذ ٤٥٨ سنة ، عندما أصر الملك هنرى الثامن على طلب الطلاق . وخضوعا لرغبة الملك انشقت الكنيسة إلى كنيسة انجليكانية فى انجلترا تسمح بالطلاق ، وكنيسة كاثوليكية فى الفاتيكان تحرم الطلاق .. واليوم زاد الشرخ بين الكنيستين اتساعا ، حينما وافق المجمع الانجيليكانى بأغلبية صوتين على اشتغال المرأة قسيسة ، واحتج الفاتيكان فى بيان شديد اللهجة قال فيه :

- إن اشتراك المرأة فى السلك الكنسى ، سوف يؤدى إلى إنهيار

السلك الكنسى من أساسه ، وأن المرأة محظور عليها سر القربان المقدس ، ومحظور عليها سر الاعتراف ، ومحظور عليها مباركة المؤمنين فى الكنيسة باسم الله .

والموجة الليبرالية التى تجتاح أمريكا الآن ، زادت هذا الشرخ اتساعا بالتيار الجديد الذى يطالب بشرعية الاجهاض ، وأن المرأة حرة فى التصرف فى حملها ، وأن ما تحمل فى رحمها هو أمر يخصها وحدها ، ولا يخص الكنيسة ، ثم التيار الآخر الذى يطالب بشرعية قتل المرضى الميئوس من شفائهم ، على سبيل الرحمة .

والتيار الثالث الذى يطالب بقبول الشواذ جنسيا فى الجيش ، ناهيك عن حقوق الشواذ الراسخة فى مباشرة شذوذهم فى علانية ، وإنشاء التنظيمات والنوادى والنقابات التى يتمتعون فيها بكامل حقوقهم ..

وفى مواجهة تلك الموجات من التفسخ والتحلل ، تظهر الموجة المضادة من الأصولية المسيحية المتطرفة ، وهى الجماعة الانجلية الارهابية ، التى تسود أمريكا ، والتى تدعو إلى تسليح ودعم إسرائيل بكل الترسانة العسكرية الأمريكية ، ودفعها إلى حرب الابادة التى يبشر بها اليهود فى توراتهم ، ويقولون : إنها شرط نزول المسيح من السماء ..

ويهدد القس الأمريكى جيرى فالويل الرئيس كلينتون بالويل والثبور إذا تخلى عن دعم اسرائيل .

والمراقب من بعيد يرى أن الكنيسة قد تركت برجها العاجى ، ونزلت إلى الشارع السياسى لتدفع بالحوادث وتوجه التاريخ .. كل فرقة على حسب اعتقادها .

ويستعرض أحداث البوسنة وما يجرى فيها من مذابح ..

ويتساءل : هل ما يجري الآن هى رسالة إلى أولاد العم فى اسرائيل ، أن يطلقوا أيديهم ويفعلوا ما بدا لهم ، ويقتلوا ما شاء لهم القتل ، ويطمئنوا فلا تثريب عليهم ولا عتاب ولا ملامة .. ولا يتعرض أحد للدفاع عن هذا الجنس الذى جاءت ساعة إبادته ؟

ويقول ردا على علامة الاستفهام الذى طرحها ..

- لا أحد يستطيع أن يرد على هذا السؤال ، لأنه خاص بالمستقبل . ولكن أرجو حينما يحين ذلك المستقبل أن تكون هذه الأمة العربية المفككة المتنابذة ، فى وضع أفضل من الأخوة فى البوسنة .. وأن نعتبر جميعا بما نرى .. وأن ننظر جميعا فى العواقب .. وأن نفرق على ضوء ما يحدث بين الأصدقاء وبين من يزعمون أنهم أصدقاء . وأن ننظر إلى خريطة المصالح ، فهى وحدها التى تحدد العواطف فى عالم بلا قلب لا يعبد إلا إلها واحدا هو المصلحة ، ولا ينشد إلا هدفا واحدا هو العلو والهيمنة .. ألم يقل ربنا فى قرآنه : ﴿ **وقضينا إلى بنى اسرائيل**

فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾
﴿ الاسراء - ٤ ﴾

ويتحدث عما يجرى من مؤامرات على العالم العربى الاسلامى .. حتى يمتص منها الأموال .. ويفكك منها الاوصال .. فكل ذلك يحدث ونحن نسير كالدواب المعصوبة الأعين . لا نحاول أن نرفع عن عيوننا تلك العصابة ونستبصر طريقنا .

ويحدثنا عن سقوط بوش .. الرئيس الأمريكى السابق ويرى فيه المتآمر الكبير وثعلب الخليج ، وأنه عندما ننشر الوثائق السرية .. سوف يعلم الجميع أن چورج بوش كان رأس الفتنة فى حرب الخليج ، ولم يكن الملاك المنقذ ، وأنه هو الذى صنع العميل صدام حسين ، وهو الذى سلحه ودفع به على ايران ثم دفع به على الكويت .. وقد سمعنا جميعا على شاشات التليفزيون روس بيرو يقذف بهذه الحقيقة فى وجه بوش حينما قال له :

- إن السفيرة آبريل جلاسبى قالت على لسانك لصدام حسن : تستطيع أن تحتل الكويت دون أن تخشى احتجاجا أو تدخلا أمريكيا .. وحينما فتحت آبريل جلاسبى فمها وتناثرت أطراف من هذه الحقيقة أوقفت عن عملها وسحبت من منصبها .

وقال روس بيرو وهو يلوح بيده فى وجه بوش :

- نريد أن نطلع على الوثائق السرية لهذا اللقاء .. نحن مواطنون أمريكيون ومن حقنا أن نعرف الحقيقة .. وجاءت الكاميرا ساعتها على وجه بوش ورأينا وجها صفراويا وفما لا ينطق .

ويحلل موقف چورچ بوش إلى أن خرج من اللعبة مطرودا .. لأنه وإن كان يعد من عظماء الدنيا ولكن مدخله فى الآخرة سيكون من باب المجرمين .

ويركز الدكتور مصطفى محمود فى مقالاته وكتبه عن الدور الخسيس التى تلعبه الصهيونية فى الماضى والحاضر ، وكيف أنهم بلا عهود .. ولا مواثيق .. ويفرق بينهم وبين ما كان يفعله بهم المسلمون .. وهو يرى أن السيرة تؤكد - كما يؤكد التاريخ - أن جوهر الاسلام هو القبول والتفاهم والتصالح والتعايش على جميع العقائد والملل والنحل التى تسالمه .

وقد واثق النبى اليهود وعقد معهم المعاهدات كما واثق المشركين وعقد معهم المحالفات ولم يقاتلهم إلا حينما نكثوا وغدروا وخانوا عهدهم الذى كتبوه بأنفسهم .

وقد أضطهد اليهود وذبحوا تذبيحا فى أسبانيا وفى أوربا وفى آسيا

وفى كل مكان إلا ديار الاسلام فقد وسعتهم ، ووجدوا فيها الكنف والسكن والأمان . وكان بيت المال يخرج المعاش لليهودى العاجز كما يخرجه للمسلم دون تمييز .

وذلك هو الاسلام ، دين السماحة والوفاق والمصالحة والصدر المفتوح .

فأى ثأر يحاول أن يأخذه هؤلاء الصرب المتوحشون من المسلم البوسنى الاعزل .. وأى حقد كان .. وأى مشاعر وضيعة يخفيها هؤلاء الأوربيون الساكتون على الظلم . حينما يصدر مجلسهم الموقر القرار تلو القرار بحظر الطيران فوق البوسنة ثم يخرق الصرب الحظر فى مائة طلعة يقصفون فيها القرى وأهلها العُزل بالقنابل ثم يعودون آمنين .. فلا أحد يتعرض لهم أحد رغم القرار ورغم تعليمات الأمين العام المبجل بطرس غالى .. و .. يصور مأساة شعب البوسنة ..وما يلاقونه تحت سمع وبصر أوروبا .. التى تتشدق بالحضارة .. ويرى أن ما تفعله أوربا يجعل وجه التاريخ يحمر خجلا ..

كما يلقى الأضواء فى كتابه هذا على النازية الجديدة ، والخطر المحدق من ظهور هذه النازية من جديد ، ويطالب مسلمى العالم أن يتحدوا .. ويجمعوا أشلاءهم قبل أن تجرفهم مكنسة التاريخ ..

كما يركز فى كتابه هذا على أن صراع الحضارات حقيقة ، ويتعجب كيف أن عمالقة الغرب المسلحين حتى الأسنان . وأمريكا وانجلترا

وأوربا ، يقولون إنهم يخافون من الأصولية الاسلامية ، ويحسبون ألف حساب للهجمة الاسلامية القادمة .

ويستعرض الحضارات الشاهقة عبر التاريخ التى انهارت ويرى أنه لا أنتصار فى أى معركة إلا بالأنتصار أولا فى هذا الجهاد الباطن مع النفس .. وأى كلام غير ذلك شعارات .. وهراء ..

ويركز الدكتور مصطفى محمود على خطر الصهيونية ، ويورد كلام جاردوى : أن أوروبا تسير مغمضة العينين تحت قيادة صهيونية إلى ليل لا يبدو له آخر .

* * *

ويورد لنا فى كتاب آخر (وبدأ العد التنازلى) .. يحدثنا عن مؤامرات الصهيونيين ، الذين نُكِلَ بهم فى كل بلاد الدنيا إلا فى بلادنا ، ومع ذلك فهم لا يحفظون الجميل أبدا .. وأن اسرائيل لا تعمل لمصلحة أحد ، ولا تخدم أى استراتيجية غير استراتيجية بقائها واستمرارها .. وخطتها القريبة هى إثارة الفتن والحروب والخلافات فى المنطقة العربية وإبتلاعها قطعة .. قطعة .

وخطتها البعيدة هى إثارة الفتن والحروب على مستوى العالم كله ، حتى لا يتبقى قوة كبرى تنازعها .. فعملاؤها وراء كل الفتن والحروب

والفكر الهدام وموجات التطرف وتيارات الانحلال ، وموضات العرى والفن العابث والكتب الداعرة . وهم وراء السوس الفكرى الذى يدب حتى النخاع فى البنية التنظيمية للعالم .

هكذا يقول كتابهم التلمود .

وهكذا تقول بروتوكولاتهم

ويقول الدكتور مصطفى محمود بعد أن يوضح معالم الصورة : واقرءوا التاريخ من أوله ببطء وتدبر .

(انظروا معى إلى هذه الصحارى الجرد والجبال الشم فى سيناء ، وتحسسوا أقدام الأنبياء ، وأسألوا عن قاتلى الأنبياء ومشعلى الحروب وصانعى الفتن وأفيقوا إلى مستقبلكم .. وانظروا إلى ما يراد بكم .

* * *

ويصور لنا لعبة الصهيونية فى كل العصور .. فهم يفعلون الشىء ونقيضه .. فقد كانوا يساعدون الشيوعية فى الوقت الذين كانوا يساعدون الامبريالية .. وكيف كانوا يطمعون فى السيطرة على شعوب العالم .. وتحقيق الاهواء باستعمال قضية العداء للسامية كما فعلوا فى المانيا ، ووسيلتهم السيطرة على وسائل الاعلام وجميع الفنون بلا خوف من ظهور الوعى المضاد عند الشباب ، فإن الشباب يمكنهم اغراقه

بالمخدرات والجنس واللهو والفن الداعر والأفكار المتطرفة !! ويمكن تمزيقه وتشتيته فى المتاهات الخلافية ، فلا يعود يجتمع أثنان على رأى .. ثم بضرب الطبقات بعضها ببعض ، وإثارة الفقير على الغنى ، والخادم على مخدومه والمرءوس على رئيسه ..وإثارة الفتن بين الدول وتوسيع شقة الخلاف بينها ، وإثارة الخوف عند كل طرف من الأخر .. وزعزعة الايمان فى النفوس ، وتشويه صورة الأديان عند الناس .. كل هذه الأمور ساقها الكاتب وهو يستعرض الخطاب المثير للحاخام عما نويل رابينوفتش أمام المؤتمر الاستثنائى للجنة الطوارىء لحاخامات أوربا الذى عقد فى بودابست ١٢ كانون ثانى عام ١٩٥٢ .. وهذا الخطاب بعض ما أورد المؤلف وليم جاى كار من وثائق فى كتابه (أحجار على رقعة الشطرنج) وقد وقعت هذه الوثائق فى يده حينما كان يعمل قائدا للأسطول الكندى ، وكانت المخابرات البحرية الكندية تابعة له (وقد قتل المؤلف بعد نشر الكتاب فى حادث غامض) ؟!

والوثيقة تكشف عن الدور المستمر والخطير للصهيونية فى إشعال الفتن ، وفى تفريق العالم إلى جبهات ثم تأجج العداوة بين هذه الجبهات .

﴿ كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ﴾

﴿ المائدة ٦٤ ﴾

ويضرب أمثلة للمكر اليهودى والدهاء الصهيونى من خلال استعراضه لنفس الكتاب .. فنرى مثل هذه الأمور العجيبة ، ففى معركة ووترلو كمثال استطاع روتشلد أن يغنم الملايين . !

- كيف ؟

- فحينما رأى الدائرة تدور على نابليون ، أطلق الحمام الزاجل إلى انجلترا بخبر كاذب أن انجلترا انهزمت مما أدى إلى إنكسار الجنيه الاسترلينى وهبوطه الحاد إلى ما قيمته شلن واحد ، ثم أسرع إلى انجلترا ليشترى كل ما أمكن أن يجمعه من ملايين الاسترلينى بسعر التراب .. لينتظر ظهور الخبر الحقيقى وهو انتصار انجلترا على نابليون ثم يعود ليبيع التراب الذى اشتراه بسعر الذهب !

وعندما مات ناتان روتشلد عام ١٨٣٦ كان قد سيطر على مصرف انجلترا تماما ، وبلغ القرض القومى الانجليزى ٨٨٥ مليون جنيه . ولكل قرض فوائد .. وليست تلك هى فوائد الحرب الأخيرة .. فإن الحرب تهتك جميع الأطراف الغالبة والمغلوبة وتخرب الذمم وتفسد الضمائر وتنشر الارهاب .

ويورد لنا وهو يستوحى نفس الكتاب المدعم بالوثائق أنهم كانوا وراء جميع الثورات والحروب .

الحرب العالمية الأولى والثانية والثورة الفرنسية ، وثورة أتاتورك والحرب الأهلية الاسبانية ، وانقلاب كرمويل فى انجلترا .. كما يقول .. إنهم يستعملون المحافل الماسونية فى التغلغل إلى جميع شرائح المجتمع .. ليضعوا أيديهم على جميع المراكز الحساسة ، وأنهم يستعملون المال والنساء والمخدرات والسم والقتل والغدر والانذار والتهديد بالفضيحة ولا يتورعون عن أى وسيلة توصلهم إلى هدفهم .

ولكن من هم ؟

ويجيب .. إن المؤلف يقول إنهم ليسوا كل اليهود ..فأكثر اليهود من العميان الذين تقودهم هذه القلة .. والمؤلف نفسه يهودى من هذه الكثرة التى كانت عمياء ثم فتح عينيه شيئا فشيئا على هذه المؤامرة المفزعة التى تحاك للعالم ، وقد دفع حياته ثمنا لهذه المعرفة المحظورة .

إنهم قلة من العقول الشيطانية بلغوا غاية العبقرية فى جمع المال وفى تحريكه وللسيطرة ولاثارة الفتن والحروب . وهم يهود ولكن فى حقيقة الأمر لا دين لهم ولا معبود لهم الا نفوسهم وإلا حلمهم المجنون بأن يحكموا العالم .. وهم بضع مئات ولكنهم يضعون أيديهم على منابع الثروة وعلى منافذ السلطة وعلى منصات صنع القرار .. ولهم عملاء ومرتزقة وأتباع عميان بلا عدد يتفانون فى خدمتهم ويموتون من أجلهم .. وروتشلد هو واحد منهم .. وهم يعملون

فـى الخفـاء مـن وراء الكـواليس ولا يظهرون على المسرح ..

دينهـم ديـن كـل حكومـات الأرض ، خيـوط غيـر منظـورة] ويقول الدكتور مصطفى محمود : إنه ربما كان فى كلام المؤلف بعض المغالاة ، ولكن لا شك أن فيه الكثير من الحقائق . والمؤامرة حقيقة تاريخية لا شك فيها ويورد لنا الكاتب حصاد ما فعلوه ونتائجه فيقول :

إن ما يفعله يهود اليوم .. كان يفعله يهود الأمس بإثارة الفتنة بين الأوس والخزرج قبـل الاسلام .. ثم بعـد الاسـلام تآمروا علـى محمد عليـه الصـلاة والسلام وجمعوا كل القبـائل ضـده فـى غـزوة الأحزاب . ومـن قبلهـا غـزوات أخرى . ولكـن مـا حدث أنهـم فشلوا .

فشلوا بالأمس .. وفشلوا فى كثير مما خططوا له اليوم . فشلوا بالأمس فى غزوة الاحزاب وغيرها .

كما أن الثورة الفرنسية فشلت وثورة كروموبل فى إنجلترا فشلت .. كما فشلت الحرب الأهلية الأسبانية التى أثاروها لقلب النظام الأسبانى .

ومع ذلك فالتآمر مستمر بل أنه يتسارع إلى ذروة .

- والمسرح العالمى الذى احتشد بالصواريخ والأقمار الصناعية والعتاد الذرى أضحى لا يحتمل عود ثقاب واحد . ويرى الدكتور مصطفى محمود أنه قد بدأ العد التنازلى .. وأنهم بسبيلهم لاشعال

فتيل الكارثة .. ويضرب أمثلة تاريخية كثيرة عن مؤامراتهم التى لا تنتهى سواء فى التاريخ القديم أو الحديث .. ويريد أن يخرج من كل ذلك بأنه يجب علينا أن نعى تجارب التاريخ .. أن نستفيد منها . ألا ننساق إلى خداعهم وقراراتهم ويقول :

فلنكن مع خير الماكرين يدا واحدة ولا نتفرق ونعد من العدة ما إستطعنا ولا نضمر الشر لأحد ولا نتطرف فى عداء إنسان .. ثم لا نبالى على أى وجه جاء الطوفان .

إنهم يجتمعون ليتآمروا فلماذا لانجتمع لنتفق إن لهم مكرهم السيىء .. فلماذا لا يكون لنا مكرنا الخير .

إنهم يعملون الليل والنهار فلماذا ننام متكاسلين متواكلين الليل والنهار ؟!

إن لهم عملهم .. فلماذا لا يكون لنا عملنا ؟

إننا أغنى الأمم بالأعداد الكبيرة من البشر وبكنوز الطاقة وبالثروات المعدنية وبالخيرات والمهارات ولا عذر لنا فى شىء .

فلنعِ دورنا ولنبدأ العمل قبل أن تبدأ الزلزلة .

فأهم محاور كتابات الدكتور مصطفى محمود السياسية تدور حول

أهمية معرفة الصهيونية .. ومعرفة أسلحتها حتى لا نقع فى فخاخ المكر الصهيونى .. والدهاء الصهيونى ، والأطماع التوسعية الصهيونية . ولعل ما كتبه الدكتور مصطفى محمود فى مقاله الأسبوعى فى الأهرام (١١/١١/١٩٩٥) عن التطبيع مع اسرائيل .. تحت عنوان (هذا التطبيع) .. يعطى صورة متكاملة عن رؤياه السياسية فى هذا المجال .. فلا أحد ضد السلام العادل .. ولكن الخوف دائما من الغدر الصهيونى .. فهو بعد أن يستوحى فى مقاله الوضع العربى يقف عند قتل إسحاق رابين وماله من دلالة يوضحها بقوله :

قتل رابين فى محفل بين أهله وحزبه .. قتله يهودى رميا بالرصاص . تماما كما حدث للسادات .. قتل وسط جيشه وحكومته .. قتله الاسلامبولى رميا بالرصاص ، والحادثان يقولان نفس الشيء .. إن السلام بشكله الحالى هو المشكلة وليس الحل . وإذا كان يبدو فى نظر البعض أنه حل . فهو حل فى حاجة إلى حل .

إن ما حدث كان هو التطبيع على الطبيعة .

وكما رأيناه على الطبيعة .. كان مسلسلا دمويا .. وهو فى حقيقته ليس أكثر من ذلك .

والسبب أن الله ليس عنده تنازلات ولا توجد عنده أنصاف حلول ..

فلا إصلاح بنصف حق ونصف باطل . ولا يمكن أن تتغير عقائد الناس بقرار وزارى ، انما هى أحلام أمريكية .. وأوهام عربية .

والتطبيع بصورته الحالية سائر حتما إلى صدام ليسود فى النهاية من يريده الله أن يسود .. فالكون يحكمه خالقه وليس الكونجرس .

وأكبر خطأ نرتكبه أن ننظر إلى مقتل رابين باعتباره عملا إرهابيا فرديا . فالقاتل لم يكن يعبر عن نفسه حينما فعل ما فعل ، وإنما كان يعبر عن سكان المستوطنات فى اسرائيل ، وعن آيات توارتية يقرأها كل أطفال اليهود فى مدارسهم ويؤمنون بها ويرددونها على أنها حق مطلق لا يقبل الجدل .

إننا نواجه يقينا مطلقا على الجانبين ، لن يستطيع أن يقتلعه مقال صحفى . وما سيجرى للقدس سيكون مشيئة إلهية ولن تكون السياسات إلا مجرد أدوات لتلك المشيئة .

إنها ليست السنبلاوين

إنها القدس يا سادة !!

إنها البلدة التى بارك حولها رب العالمين .. وهى العاصمة الأبدية للأديان الثلاثة .. وكل دين له حق فيها مثل الآخر .. ولا يمكن أن تكون لاسرائيل الولاية عليها» ..بهذه الرؤية تكتمل رؤية الدكتور

مصطفى محمود لعمليه السلام .. وتتضح رؤياه من خلال التجربة التاريخية التى مررنا بها مع الصهيونية .. وهى رؤية تستند إلى عقيدة إيمانية .. وأن الله يفعل ما يريد .. وإن علينا أن نعى دروس التاريخ .

- ٢ -

وعالم الدكتور مصطفى محمود السياسى لايتضح فيه همومه بالعالم العربى والاسلامى فحسب ، بل يركز فيه على الأوضاع العالمية .. لأننا نحن جزء من هذا العالم . وهذا العالم أصبح صغيرا جدا . بفضل ثورة التكنولوچيا وثورة المعلومات ، والتقدم العلمى المذهل .

وإذا كان العالم القديم كانت تحكمه فى علاقاته مع الأخرين المصالح .. واستغلال الدول القوية للدول الأضعف واستعمارها تحت مسميات مختلفة ، فإن الهدف الحقيقى هو إستغلال الدول الضعيفة .. واستغلال مواردها .. واستغلال الأيدى العاملة الرخيصة بها ، وبسط نفوذها ..

أو تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ حسب التوازنات الدولية .. إذا كانت هذه هى صورة الاستعمار العالمى القديم ، فإن الاستعمار الحديث يتفق فى النتيجة .. النتيجة واحدة وإن اختلفت المسميات .. فلم يعد

الأمر إحتلال جيوش دولة قوية لأرض دولة ضعيفة .. ولكن أصبحت الهيمنة على أقدار الآخرين هى هدف القوى العظمى الآن .. بالتهديد بالجيوش .. والأساطيل .. والقوى الاقتصادية .. وليس بالاستعمار المباشر .

من هنا نرى الكاتب يركز دائما على هذه المتغيرات التى تحدث فى عالم اليوم .. وخاصة أمريكا التى أصبحت وحدها على الساحة الأقوى نفوذا فى العالم كله بعد سقوط الأتحاد السوفيتى .. ومهمة الكاتب اليوم الكشف على قواعد اللعبة السياسية اليوم فى ظل هذاالواقع الجديد .. ومعرفة الطريق لنسلم من هذا الطوفان المتمثل فى القوى الأجنبية ، إنه يريدنا أن نرى الأخرين بلا اقنعة .. فهو يرى فى مقاله (هل وصلنا إلى نقطة إنعدام الرؤية)..أن بحر السياسة غريق ، والطالب الذى يقود المظاهرة ويهتف لم يعد يعرف ماذا يخدم ومن يخدم ، وغالبا ما يكتشف أنه كان مستخدما من قبل آخرين دون أن يدرى ، وأنه كان آداة هدم من حيث ظن أنه أداة بناء ، وكان عونا للشيطان من حيث تصور أنه داعية إلى حق . بل أن الكلمات التى يهتف بها فى حماس وبراءة .. غالبا ما يكتشف أنها لم تكن كلماته ، وإنما هناك من مكر به ووضعها فى فمه .

والدول الصغرى حالها أصبح مثل حال هذا الطالب ، فهى فى بحر

السياسة لعبة الدول الكبرى ، والزعماء الصغار ألعوبة الكبار ، وأخطبوط المصالح وراء مسرح المبادىء ، والدبلوماسية مناورات من الكذب الأنيق ، والأحلاف مصالحات مرحلية ثم يعود فينقض كل طرف على الأخر حينما يتغير اتجاه المصلحة .

والعثور على الحقيقة الآن أصعب من العثور على إبرة فى الظلام ، والمواطن العادى وقارىء الصحيفة العادى أبعد الناس عن إدراك ما يحدث تحت قدميه ، وأجهزة الاعلام تغسل مخه كل يوم والأخبار تضلله ، والأعلانات تستغله والسينما تستهويه والمسرح يقتل وقته .

اختلط الأمر فى كل شىء حتى فى اللحى . فأصبحت ترى غابات اللحى ولا تعرف ماذا تحتها ..

المشايخ لهم لحى والهيبيز لهم لحى ، ومدمنو المخدرات لهم لحى ، وكلمات الاسلام يتاجر بها المؤمن والكافر ويسرح بها الكل فى السوق .

فى موسم الحج هذا العام شوهد ألوف من الايراينين يسيرون فى مظاهرات هاتفين الله أكبر .. خومينى أكبر .. الله واحد وخومينى قائد .. الموت لاسرائيل .. الموت لأمريكا .. لم يطلقوا هتافا واحدا ضد روسيا ..

وتعجب الحجاج المسلمون من إعفاء روسيا من الهجوم برغم أنها

تدوس المسلمين بالدبابات فى أفغانستان وتقتلهم بالغازات السامة فى مخابئهم بالجبال وتشردهم بالألوف من بلادهم ..... ويحدثنا الكاتب عما تفعله السياسة فى النفوس .. حيث تطغى المصالح على القيم ، ويرى أن المستقبل هو الآخذ بالأسباب .. أسباب التطور والرقى .. والتطور والرقى وسيلة العلم .. وليس هناك علما أمريكيا ، وعلما آخر غير أمريكى .. العلم لا وطن له .. ولابد بالأخذ به لأنه الأداة إلى عالم جديد .. وفكر جديد ورؤية جديدة .. ويحدثنا عن دور الاتحاد السوفيتى عندما كان قوة ولم يسقط ويتفتت بعد .

كما يحدثنا عن الدور الأمريكى وأبعاده فى المنطقة .. ويقول : إن أمريكا التى بدأت بمساندة الأقلية المارونية فى لبنان بقوات من المشاة المارينز ما لبثت بعد انهيار جيش أمين الجميل أن سحبت المارينز حتى لا تلعب على جواد خاسر . واكتفت بأن تطلق القذائف العشوائية من البحر لتقتل الشيوخ والأطفال والنساء وبمدافع النيوجرسى التى يبلغ معدل ما تلقيه من متفجرات فى الدقيقة عدة آلاف من الأطنان .. عمل وحشى بربرى من أعمال القرون الوسطى .

والأغلبية المنكوبة من الدروز والشيعة المسلمين لا يجدون لهم ملجأ سوى السوفيت والسلاح السوفيتى يلتمسونه عبر سوريا .

وسيل الدم فى لبنان بتشجيع وتآمر دول كبرى .... ويورد لنا المؤلف

ما كشفته الأقمار الصناعية من كنوز فى بلادنا العربية .. وأنها أغنى مناطق الأرض بالكنوز وخزانات المياه الجوفية بعد أمريكا وروسيا .. وأننا ننام كسالى وتحتنا جنات تجرى من تحتها الأنهار .. ونتقاتل على رغيف وعروق الذهب تحت أرجلنا .. وهذه هى المنطقة العربية لا تكاد تجد منها دولة إلا وهى تعتمد فى سلاحها ورغيفها على أمريكا أو روسيا .. ونتصور أننا أحرار وأننا مستقلون وإننا استعدنا إرادتنا . ونضحك على أنفسنا فرقابنا مازالت فى أيديهم هم . ولن يكون فى إمكاننا أن نصنع قرارا واحدا حرا ورغيفنا وسلاحنا فى أيديهم ، ويطالبنا الكاتب أن نرتفع فوق الطائفية والقبلية والوطن ، ونفطن إلى المصير المشترك وإلى التهديد بالموت المعلق فوق رءوسنا وفوق رءوس أولادنا لنرتفع إلى مستوى المحنة .

ويحلل المؤلف موقف الدول الكبرى التى تعمل وفق مصالحها وتضع المبادىء على الرف .. وأن هذه الدول تملك حضارة مادية .. حضارة لا تؤمن إلا بالقوة ولا تعرف إلا صراع المخلب والناب .

تلك هى قواعد اللعبة التى تجرى حولنا وعلينا أن نتقنها مادمنا قد أصبحنا طرفا فيها .

- والحل ؟

- الحل فى رأيه أن ننسى خلافاتنا ولنرتفع فوق جراحاتنا لنصبح فى

مستوى الموقف ، ونواجه الموت متحدين ، فتكون لنا حسنة أخيرة تشفع لنا بمغفرة فلا تموت مع الذين خانوا أنفسهم وخانوا أماناتهم وخانوا الله ورسوله .

والمعركة فى رأيه حبالها طويلة بطول التاريخ .. وبيننا وبينها الإستعداد لها أولا .. الإستعداد السياسى والإستعداد الإقتصادى والإستعداد العسكرى والإستعداد النفسى ، ويرنو الكاتب ببصره إلى أمريكا عندما قام بزيارتها ، ويقوم بتحليل الظواهر المختلفة الموجودة فيها ، ويرى أن الولايات المتحدة الأمريكية المختلفة فى الألوان واللغات واللهجات والعادات إستطاعت أن تتفاهم فيما بينها بأكثر مما استطعنا نحن أن نتفاهم نحن أبناء اللغة الواحدة والدين الواحد وإذا سألته عن السبب فى ذلك يجيب :

- أن المسألة فى النهاية مسألة تقدم . ولا أقصد بالتقدم .. العلم والتكنولوجيا .. وإنما أقصد ما هو أعمق .. أقصد القدرة على التفاهم وتحكيم العقل فى حسم الخلاف والقدرة على النظرة الموضوعية الهادئة دون إنفعال ، والقدرة على الاستبصار والنظر فى العواقب وتغليب العقل على العاطفة ، والتخطيط على الارتجال والتفكير على الهتاف .. وتلك هى صفات المجموعة المتحضرة ، وحظنا من ذلك قليل وحظهم كبير .

ويقول الدكتور مصطفى محمود :

وأكاد أقول إن أصدق تعريف للحضارة هو القدرة على التفاهم بين المختلفين .. والقدرة على تجاوز التناقضات فى المواقف والآراء والأمزجة وتغليب الانسانية والحكمة .. وإنما تأتى حكاية التقدم العلمى والتكنولوجى كنتيجة لهذه الصفة صفة تغليب الحكمة والفكر . ولقد تقدموا فى العلم والتكنولوجيا بسبب هذه الصفة وليس العكس . ولكنى شديد التفاؤل .. وأقول لنفسى : لقد اكتسبت أمريكا هذه الصفة بعد حروب تاريخية طويلة حارب فيها بعضهم بعضا مثلنا .. وعبروا إلى شاطىء الأمان بعد أن خاضوا أنهار الدم .

و .. يتحدث عن مظاهر الحضارة فى أمريكا .. ووسائلها .. وكيف استطاعوا غزو الفضاء ، ومشوا على أرض القمر ، فى الوقت الذين يعتنون بزيادة الانتاج وتحسينه وقدرتهم وقدرة الآخرين على المنافسة ، ويرى أنه يجب أن نحذوا فى التقدم العلمى والتكنولوجى حذوهم كما فعلت اليابان . فقد بدأت اليابان النهضة من الصفر .. من دمار كامل .. وهذا يعطينا مثالا على أن التقدم التكنولوجى ليس لغزا . وأن التخلف ليس قدرا علينا .. وأن العمل والنشاط يستطيع أن يعبر بنا الفجوة فى لا زمان .

* * *

الفصل الرابع

نقطة الغليان
وإنسان كل عصر !



اذا كان الأديب مهمته هو أن يحدث الناس عن الناس كما يقول تولستوى .. فليس معنى ذلك أن كل من يحدث الناس عن الناس يصبح أديبا .. ولكن الأديب هو صاحب الأسلوب الأدبى الذى يختلف عن غيره من الأساليب بأنه يمتاز بالرشاقة ، والقدرة على التعبير فى قالب فنى .. وليس بصورة مجردة كالأسلوب العلمى الذى قد يجنح فى بعض الأحايين إلى الجفاف .

ومن هذه الزاوية نرى أن كل ما كتبه الدكتور مصطفى محمود سواء فى مجال الرواية أو القصة القصيرة أو المسرحية أو المقال يمكن أن يندرج تحت الأدب حتى لو كتب فى العلم أو السياسة أو الاقتصاد .. لأنه الأدب منذ أقدم عصوره وهو يتناول هذه المضامين .

فى قصص الدكتور مصطفى محمود .. نجده يحكى الحكايات .. أو بعض القصص .. ونرى وراء ذلك خط فلسفى .. إنه يريد بعد أن يصل إلى ذروة الأحداث .. يصور لنا لحظات الافاقة .. البطل .. أو البطلة .. أو الجماعة .. وكيف إستفادت أو لم تستفد من توالى الأحداث مثلا فى مجموعته القصصية كمثال (نقطة الغليان) والتى نشرها عام ١٩٧٧ والتى تضم ١٤ قصة قصيرة ، من خلال قراءة قصص هذه المجموعة يبرز على الفور هذا الخيط الذى يربط بين هذه القصص .. وهى محاولة

تجسيد الهدف .. المعبرة من هذه القصص .. ماذا تستفيد من سردها ..؟ وبالطبع بدون مباشرة لأنه لا يكتب مقالا ولكن يكتب قصة متماسكة الخيوط .. متشابكة الأحداث .. مفعمة بالانفعالات ثم تتجمع الخيوط أخيرا .. لتكون النهاية فيها اختزال هذه الأحداث وما ينتج عنها من مغانم أو مغارم .. من هدى أو ضلال .. من استفادة بالتجربة وعدم الاستفادة .. وكأنه يقول لنا : هذا هو الانسان فى كل عصر .. وفى كل مكان .. منه من يستفيد من أحداث عمره .. ومنه من يتمادى فى الضلال .. لان الناس معادن .. ومن المعادن ما يعلوه الصدأ .. ومنها الذى يظل على بريقه ولمعانه ، ولنأخذ أمثلة من هذه المجموعة ، ولتكن قصته (أغلى شيء) وهى القصة التى بدأ بها مجموعته .. فماذا نرى ..

نتوقف عند بطل القصة الذى وقف فى شارع الحمراء فى بيروت يتلفت ويدس يده لحظة وأخرى فى جيبه حيث الألف ليرة ..

يصفه : بأنه بحار عاش عمره سواحا بين الموانىء يضع قدمه أياما على البر ليعود فيتغرب شهورا تائها حتى ليصبح نقطة عائمة فى زرقة بلا حدود لا يربطه بعالم البشر إلا صوت الترانزستور الصغير المعلق على كتفه أو عجيج ركاب الباخرة السكارى آخر الليل .

ومثل كل البحارة قد ورث تلك العادة السيئة من أيام أجداده

ماجلان وكولومبس أن يجمع كل ما كسبه طوال غربته ليلقى به بين أحضان أول فتاة يقابلها على رصيف الميناء .

ويحدثنا عن حياة الملاحين ورؤاهم للحياة .. والبحث عن المتعة فى كل ميناء .. ويتعجب ملاحنا هذا عما رآه عندما زار الأسكندرية حينما رأى بعض الفقراء يسجدون ويصلون لله على شاطىء الاسكندرية ذات مرة .. ولم يفهم لمن يسجد هؤلاء الناس ولمن يصلون .. وكيف يعطينا الله حياة لننفقها من أجل حياة أخرى .

وأين الله هذا الذى يعبدونه .!

إن معبود هذا الملاح فى كأس نبيذ .. أو بين ذراعى امرأة !

ونمضى مع أحداث قصتنا .. فبطل القصة يريد أن ينفق الألف ليرة على امرأة .. وعندما يرى فتاة جميلة عارية على بار ستريو .. ليس أجمل منها ولا فى الأساطير .. ويصف محاسن الغانية التى أشتهاها وراح يغنى أغنية روسينو : امنحينى قبلة أفتح بها الدنيا وأصل بها إلى القمر .

يا قيثارتى الجميلة .. دعينى أعزف على أوتار عودك الممشوق لحن حب .

وتعانقا عند الباب .

وتعرف أن هذا البحار غجرى من وارصوفيا .. من بلاد الكروم والموسيقى والرقص .

ولكن الرجل عندما احتضن فتاته ، شعر وكأن زلزال قد حدث .. فقد دارت الأرض تحت قدميه ، وإنطلقت من كل مكان أصوات الرشاشات وقذائف المدفعية الثقيلة والصواريخ وإشتعلت السماء بوهج أحمر .. ومرت لفحة من الهواء الساخن على خده كأنها سيف تحمى .. ورأى شظية تقتلع رأس الفتاة أمامه وتترك حفرة ينبثق منها الدم .. ورأى نفسه يحتضن جثة ! وتمضى مع أحداث القصة التى تصور بطل قصتنا هذا .. وقد وجد نفسه ضائعا .. وهو يزحف نحو الميناء ..ليجد أن سفينته قد تحطمت .. وأن عليه أن يغامر فى سفينة شراعية مع الآخرين إلى الاسكندرية .. وحاول وهو فى عرض البحر أن يتأمل ما جرى من أحداث .. ولم يكد يفكر فيما شاهد حتى انقلب هدوء البحر إلى ثورة عارمة .. وخرجت السفينة عن خط سيرها المقرر .. والرحلة التى قدر لها أسبوع امتدت لأسبوعين .. وفقد الطعام وفرغ الماء وبدأت المعركة مع الجوع والعطش .!

.. وأصبح لنقطة الماء ثمن ..فكانت قطرة الماء تبدو ساعتها أغلى شيء .

وتمضى الأحداث فى طريقها .. حيث تتحطم السفينة ويجد نفسه

يسبح وحده فى بحر بلون القار الأسود ولا أحد غيره على قيد الحياة .. ولا صوت ولا بصيص نور .

ووسط هذا الظلام لم يجد الرجل سوى أنه يتجه بكل كيانه إلى الله .

ولعل قلبه أصاب حيث أخطأ فرأى ما لا ترى العين

ساعتها كانت الرحمة أغلى شىء

ومن عنده الرحمة كان أغلى الكل

ذلك الذى أدرك القلب وجوده وخاطبه مخاطبة الحاضر المشهود .. فقال يارب .. رحمتك

واستجاب الرحيم فانتشَلته يد قوية وحملته إلى قارب انقاذ .

وفى سرير بمستشفى الاسكندرية فتح الرجل عينيه ليستأنف الحياة من جديد وقد أصبح رجلا آخر .

رجلا يركع ويسجد ويدعو مع الداعين .. ويصلى مع المصلين .

تلك هى قصة البحار أحمد واسماعيلو فتش الذى عاش حياته يجرى وراء أغلى شىء .. والذى عرف أخيرا ما هو أغلى شىءً

بهذا الأسلوب الجميل الرومانسى ينهى الرجل قصته .. فالرجل الذى لم يكن يؤمن إلا باللذة .. عندما تعرض لخطر الموت ، وذاق

الأهوال .. حتى أنقذته العناية الإلهية .. عرف أخيرا أن أجمل ما فى الحياة .. ليس البحث عن المتع الزائلة .. ولكن السعادة الحقيقية هى الوصول إلى شاطىء الأمان .. وشاطىء الأمان هو الإيمان .. وبالايمان يصبح للحياة هدف .. وتصبح الحياة لها معنى .. ويوقن الانسان قيمته ودوره فى حياة غامضة .. لا معنى لها إلا بالايمان .

وفى قصة (الحب والموت) .. وهى من أجمل قصص المجموعة تجد المؤلف هنا : إنسانا متأملا يحاول أن ينفذ إلى جوهر الأشياء .. لا يتوقف عند الأحداث ذاتها .. ولكن عند مغزاها .. نرى هنا فيلسوفا أكثر منه قاصًا ..

فالقصة عبارة عن فتى وفتاة جمع بينهما الحب .. الفتى شاعر والفتاة تحب فتاها .. ولكن الفتاة يصيبها سرطان الثدى ، وتضطر إلى إجراء جراحة لاستئصاله ، ولكن السرطان يتسلل إلى الرئة ، وتسأله الفتاة .. إن كان مايزال يحبها ، ويؤكد لها أنه مازال على حبه لها ، لأنه يحب فيها الروح .. رغم أنها تعيش على المسكنات .. ويختم قصته بهذا الحوار الجميل .

وكأنما احترمت قوانين الغيب هذا اللقاء فتوقف نمو الخلايا السرطانية بضع أيام ليتيح لهما فسحة لذلك الحوار المحترق بين الحياة والموت .

وكأنما قال الحب للموت .. توقف لحظة .. فتوقف وكانت تقول له ..

كم ألعن ذلك الافيون لأنه يحجبنى عن الألم كما يحجبنى عنك ولأنه يقيم حولى أستارا من الوهم فأشعر كأنما أمسكك بقفاز وليس بيدى .. كم أريد أن أباشرك بلا وسائط وبلا حجب .. فأصير أنا أنت بالحق والحقيقة وبالدم والجسد ويصير كلانا كائنا واحدا فيقول لها وهو يبكى : فى الجنة سوف يباشر بعضنا بعضا بلا وسائط وبلا حجب فنتواحد كأرواح أما فى الدنيا فغلالة الأحياء والطين تغرقنا ولا أمل . فتقول فى يأس :

جنتى هى أنت .. وميقاتى اليوم ورعينى أن تتوحد طينتى وطينتك لتكون سبيكة واحدة .. مالى أنا والأرواح .

فيقول مندهشا :

أوثنية أنت ؟

فتقول :

بل امرأة .. لقد أرادنى الله أن أكون دينا لك فكيف تريد فى أن أكون آخره .

فيقول متذكرا :

تلك هى حواء فعلا التى ربطت آدم إلى الأرض إلى قيام الساعة .. ما أجملك من حواء .

ونزلت سطوة الغيب فانهار الجرف بين الموت والحياة ، واصبحت جثة لا يسمع لها صوت ولا يرى لها كيان .

وتحول الحوار إلى كلام مبتور من طرف واحد .. هو يصرخ وهى لا تجيب .. ثم هو وحده يكلم ترابا .

ثم علامة تعجب أمام الباب الذى لا يعود منه أحد ثم .. سؤال .. ولا جواب

إنك تقرأ هذه القصة .. فلا يستوقفك فيها الأحداث فى حد ذاتها .. إنسانة أصيبت بالسرطان ، ثم تغلب عليها المرض اللعين ، وأمست هذه الجميلة الغالية التى كانت ملء السمع والبصر والفؤاد..جثة هامدة.. أهالوا عليها التراب ، بعد أن دخلت من الباب الذى لا يعود منه أحد ..!

إن جمال القصة هنا ليس فى جمال العرض .. وليس فى توالى الأحداث .. وليس فى أنها تدور فى قالب قصصى معين .. ولكن الجمال هنا فى جمال الأفكار ..

.. فى القدرة على النفاذ إلى ما وراء الأحداث .. فى لحظات الافاقة تجعلنا نسكت ونفكر ونتأمل فى معانى الأشياء .. فى حكمة الموت والحياة .. أو فى صراع الموت والحياة .. وحتى عندما يحتدم الصراع ..

ويوافينا الأجل المحتوم .. نظل علامة استفهام حائرة ومحيرة تبحث عن جواب .. ولا جواب .. فلا راحة لأمور الغيب .. إلا بالايمان .

ولنأخذ مثلا آخر من قصصه .. (ذرة اليورنانيوم) .. فهو يصور لنا حياة رجل قاسى القلب .. تمتلكه الهواجس ، وتسيطر عليه الوساوس ، هذه الوساوس الذى قلبت حياة الأسرة جحيما لا يطاق .. فهو يشك فى زوجته ، ويشك فى أن أولاده ليسوا منه ، ويلهبها سوط عذاب ، وفى كل مرة يغادر القصر فى سفر .. يسود البيت الطمأنينة ويعود إلى الأطفال براءتهم فيلعبون ويلهون ، عندما يعود يتحول القصر إلى جحيم لا يطاق .. حتى أن الزوجة نفسها كانت تتساءل عن سبب كل هذا الجحيم الذى تعيشه ولا تستحقه .. وهى التى لم تخنه يوما ولا فكرت فى ذلك .. ولكنه دائم الاتهام لها .. حتى أنه عندما جاء ذات مرة ليسومها سخافات أوهامه ، وطلب منها أن تعترف بخيانتها له ، وعندما اعترفت له بذلك - كذبا - حتى يخفف من ضغوطه عليها سقط جثة هامدة ..

هذه ملخص القصة

ولكن نهاية القصة كما يصورها الكاتب تجعلنا نسرح معه ، وعلامات استفهام كثيرة تدور فى الذهن .. إنه هنا يضفى على قصصه بصمات فلسفية .

- ...... لابد أن تقر بما لم تفعله لتنهى الدائرة المفزعة . وتجمع كل شجاعتها وبؤسها لتقول فى صوت مرتجف .

نعم . لقد فعلتها .

ويتوقف السوط فى يد الجبار ويصفر وجهه ويتندى جبينه بالعرق البارد ويتمتم فى رعب وكأنه يتمثل الصورة لأول مرة .

وهؤلاء أولاد زنا .. أولاد سفاح

فتقول بصوت ميت :

- نعم

فيغمغم وشجاعته تهرب منه مع كل كلمة

- ولم فعلت ذلك .. لم خنتنى مع كل هؤلاء الرجال ؟

فتقول فى آلية ودون أن تفكر :

لأنهم كانوا أجمل وأرق وأنبل وأكثر رجولة .

وتطأطىء رأسها فى الأرض وقد أدركت أن نهايتها قد حانت .

ولقد كانت النهاية قد حانت بالفعل ولكن ليس نهايتها فقد سقط السوط من يد الجبار .. وتجمد الكلام فى حلقه .. واكتسى وجهه بلون التراب وأمسك صدره من الخفقان وكأنه سيبصق قلبه

مع كل خفقة ثم سقط فاقد النطق بسكته قلبية .

انسحق الجبروت بالهوان كما تنسحق المادة بالمادة المضادة وتتبدد فى فضاء الكون ..

وانفجرت ذرة اليورانيوم . »

هذا التشبيه الجميل الذى ربط بين انفجار اليورانيوم الذى يحدث عنه ما يحدث من أهوال ، وربطه بالنفس الانسانية وغموض ما يجرى داخل الإنسان .. عندما ينفجر هو الآخر بالغضب أو الغيظ أو الألم .. هل يمكن هذا التشابه والقدرة على تجسيد أمور الحياة ، لو لم يكن الكاتب له ثقافة الدكتور مصطفى محمود العلمية ، والتى يوظفها فى خدمة قصصه ورواياته ومسرحياته ما أمكن ذلك .

* * *

وقارىء مسرحيات الدكتور مصطفى محمود يلفت نظره فيها قدرته على التعبير عن الشخصيات بأبعادها النفسية والمزاجية ، وبتركيباتها الاجتماعية ، ولكنه لا يتخلى عن روح التأمل والتفكير ، فنرى فيها المسحة الفلسفية .. أو اللمسة الفلسفية - إن صح التعبير - فى مسرحية (الانسان والظل) .. غير أن أبطال المسرحية قليلون رحمى سعودى (قاضٍ ٥٠ سنة)

كوثر : زوجته ٣٥ سنة

توفيق : محامى ابن عم كوثر

أم رحمى : والدة القاضى

فضل الشرقاوى : متهم حكم عليه بالاعدام

حاجب المحكمة

بوسطجى

متهمون آخرون حكم عليهم بالاعدام فى أحكام سابقة وشنقوا .

تبدأ المسرحية بمشهد القاضى رحمى وهو يحكم على المتهم فضل الشرقاوى بالاعدام حضوريا وسمع صوت امرأة تبرئه ، بينما الشرقاوى يعلن اعترافه بالقتل .. وظلام تدريجى على المسرح ، واختفاء تدريجى للصوت حتى يختفى المنظر تماما .

ويبدأ الفصل الأول بحوار بين الزوجة وحماتها عن تغير أحوال الزوج الذى يقضى نهاره فى المحاكم ولياليه فى دراسة القضايا .. ولكنه يتهم زوجته بالخيانه ، وتتهمه زوجته بالجنون

ومن خلال المسرحية نجد أن (رحمى) يخيل إليه أنه مقدم للمحاكمة . وهو يصدر لنا ذلك فى هذا المشهد :

.. وينظر الى الفراغ فى شرود .. يمشى ببطء ثم يتهالك على

المكتب . يطفىء النور الكبير ويضىء لمبة مكتب صغيرة نورها خافت مظلل . الغرفة تغرق فى إضاءة خافتة . (يضع رأسه بين كفيه) .. موسيقى تأثيرية تزداد شدة وعنفا لحظة بعد أخرى تنشق أرض غرفة المكتب لتخرج منها هيئة محكمة كاملة من ثلاثة قضاة على منصه .. وممثل أتهام ..ومحام وحاجب وقفص اتهام .. قفص اتهام ليس به أحد .

(نلاحظ أن كوثر هى التى تلبس ثوب ممثل الاتهام .. وأن توفيق هو المحامى) . نلاحظ أن القضاة الثلاثة والحاجب يلبسون هدوم المساجين وفى أيديهم وأرجلهم سلاسل وعلى رأس كل واحد لبدة ونمرة نحاس والقضاء يلبسون وشاح القضاء الأخضر ذا النجوم فوق هذا الزى

إضاءة شديدة على المنصة والقفص .. وعلى ممثل الاتهام وعلى المحامى .. طول الوقت رحمى يخفى رأسه بين كفيه .. ولا يبدى حركة تدل على أنه يفطن إلى ما يجرى .. الموسيقى تزداد عنفا ثم تسكت فجأة ليعلو صوت الحاجب مناديا المتهم) .

الحاجب ينادى : رحمى محمد سعودى (يعود فيكرر الاسم بصوت مرتفع كالصراخ) المتهم رحمى محمد سعودى وتنعقد الجلسة ، ليحاكم القاضى ، وممثلة الاتهام هى زوجته ، والتهمة الضحايا الذى حكم باعدامهم .. بجانب احدى عشر حكما آخر تأجل النظر فيها لحين حضور

المحكوم عليهم .. ومن خلال جلسة المحكمة المتوهمة ..نرى حوارا ممتعا .. بين الزوجة (وهى فى زى ممثل الاتهام) والمحامى ، والقاضى المتهم .. تتابع الأحداث فى دراما جذابة .. يمتعك فيها الحوار .. وتأخذ الأحداث أبعادا درامية .. وينتهى المطاف .. بأن تختفى المحكمة دفعة واحدة ، ويختفى الموجودون جميعا وتبتلعهم الأرض .. لا أحد يبقى سوى رحمى .. واقفا وحده فى غرفة المكتب الواسعة التى يعمل بها فى نور الأباجورة المظلل الخافت)

مازال صدى الصوت يتردد فى ميكروفونات متعددة وبنغمات مختلفة .

صدى الصوت : (خافت) يسلم إلى ضميره

رحمى - مستحيل .. مستحيل .. أنا اتعذبت كفاية

الصوت (فى همس) . يسلم إلى ضميره

رحمى . مستحيل

الصوت (فى همس خفيض) - يسلم إلى ضميره

رحمى : مش ممكن أسلم نفسى لحد

(يتلفت حوله باحثا عن مَخْرج)

- وحاروح فين ؟

(يتلفت في جزع باحثا عن ركن)

- حا اهرب إزاى .

الصوت : يسلمٍ إلى ضميره

(رحمى ذراعاه مفتوحتان في حيرة لا حد لها . يتحسس الجدران بيديه باحثا عن منفذ يحرك أكرة الباب ولكن الباب لا ينفتح وكل الأبواب لا تنفتح .. تتسع عيناه من الذعر .. يخبط بيديه على كل مكان في الجدار .. يخبط على الأبواب)

(الهمس يرتفع فيصبح خشنا) ..

- يسلم إلى ضميره .. يسلم إلى ضميره

رحمى : يدق بكلتا يديه على الجدران .. الباب فين .. فين الباب ؟

الصوت : يسلم إلى ضميره (صدى غليظ فظيع يرج المسرح)

(رحمى ينهار باسطا ذراعيه في استسلام)

[تنفتح نافذة في الغرفة .. يبدو منها وجه الأم غارقا في الضوء .. وجهها شاب .. لقد عادت إلى شبابها)

الأم ـ (في حنان) مالك يا ابنى ؟

رحمى ـ انتى فين ياأمى .. قالولى إنك مُتّى يا أمى

الأم : مفيش حد بيموت يا ابنى

رحمى : لكن انتى رجعت شابة يا أمى

الأم : القلوب الطيبة ما تعرفش الشيخوخه .. الشيخوخة فى الدنيا بس . لكن هنا مفيش شيخوخة .

رحمى : لكن أنتى معانا فى الدنيا .. انتى بتكلمى من الدنيا يا أمى ؟

الأم : أنا مش فى الدنيا .. أنا انتقلت

رحمى : يبقى هم ماكدبوش علىَّ .. تبقى انتى ميته .

الأم : الموت ملوش وجود .. إحنا بنغير العنوان .. كل اللى بيحصل إن إحنا بنغير العنوان .

رحمى : لكن الدنيا اللى أنت فيها جميلة يا أمى .. كلها نور .. نفسى آجى عندك الأم : - تعالى يا ابنى

رحمى : - أجى ازاى والأبواب كلها مقفوله علىَّ . انا مسجون .

الأم - أنت اللى قفلت على نفسك . أنت اللى سجنت نفسك - ربنا بيساع فى رحمته كل الناس .. لكن اللى حرمت نفسك من رحمة الله ..

قفلت عقلك مش عايز تصدق .. قفلت قلبك مش عايز تحب .. خنقت عواطفك مش عايز ترحم .. مش عايز تؤمن بأى حاجة . أنت اللى بنيت حواليك الجدران دى كلها .

رحمى (يخبط على الجدران) مش معقول يا أمى .. أنتى بتضحكى علىَّ .. انتى فاكرانى لسه طفل صغير .. أنتى ميته يا أمه .. وبتضحكى على .

الأم : مفيش موت يا ابنى

رحمى حا أزورك فى القرافة .. كل الميتين هناك .

الأم : - مش حاتلاقينى .. حاتلاقى مجرد جسم .. مجرد تراب .. ورقة غياب .

رحمى (يصرخ) - يعنى إيه ..يعنى إحنا مش حانموت أبدا . يعنى مفيش نهاية ؟

الأم (فى هدوء) - مفيش نهاية

رحمى :(يستدير فى يأس يواجه الصالة ويصيح بصوت جهورى) : سامعين .. يعنى ما فيش نهاية .. مفيش نهاية (ينهار تماماً).

.. و تنتهى المسرحية بهذا الشكل .

إنه فى هذه المسرحية .. وفى غيرها من مسرحياته نشعر به كاتبا مسرحيا ذهنيا قريبا من توفيق الحكيم .. يمكن لمسرحياته أن تقرأ ويمكن أن تمثل على خشبة المسرح .. إنها تجعلك تناقش نفسك ..وتحدثك عن ضرورة الحوار مع النفس ، وتأمل الذات ، وأهمية أن يقف الانسان يفكر فى مصيره .. فهو لن يخلد فى الدنيا ، ولن يعيش فيها أبدا ..

والموت هو لحظة الأفاقة .. جسر الانطلاق إلى عالم خالد لا يزول .. جسر .. إلى عالم .. ينصب فيه ميزان العدالة والعدل .. الكل سوف يقف أمام الله . والكل سوف يحاسب عما جنت يداه .. ولن يستوى فى العالم الآخر الخير والشر .. ولا العدل والظلم .. ولا الفضيلة والرذيلة .. كل إنسان ألزمه الله طائره فى عنقه .. وسيجزى المحسنون جزاء إحسانهم ، ويعاقب الآخرون على ما اقترفوه من مظالم وآثام .

إن الدكتور مصطفى محمود فى هذه المسرحية يركز على أهمية الضمير وأن يراعى الانسان ضميره ويحتكم إليه وسوف يميز من خلاله الهدى من الضلال .. والحق من الباطل .

وفى كل مسرحيات مصطفى محمود ، كما فى قصصه ورواياته ، يركز على لحظة الإفاقة .. حيث يتجه الوجه نحو كل ما هو خير وحق وجمال ..

وأن فضيلة الفضائل هى الايمان وما يتبعه الايمان من نقاء السريرة ، والعيش فى أمن وأمان .. وسلام مع النفس ، ومصالحة لها .. لأنها تسير على منهج الله .. وفى طريق الله ..

والشر لا يأتى إلا بمخاصمة النفس ، ومخاصمة النفس هو عدم نهيها عما حرمه الله ، وسيرها فى طريق الحرام .. هنا يكمن الخطر .. هنا يكمن الشر .. هنا يتعذب الانسان بنفسه وبالآخرين .

.. إن معرفة عالم الدكتور مصطفى محمود يتخلص فى جملة واحدة : اعرف الله .. يجنبك الله أشواك الطريق .

* * *



الفصل الخامس

ملاح يبحث عن شاطىء وشخصية تنمو فى كل الخطوط

حاورت الدكتور مصطفى محمود حوارات طويلة ، ولم تكن هذه الحوارات سوى مناقشة لإلقاء الضوء على حياته وفكره ، ورؤياه لما يجرى على الساحة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا أيضا ، كما ألقت هذه الحوارات أضواء على إبداعاته الفنية فى القصة والرواية والمسرح وأدب الرحلات ومن خلال هذه الرحلات نطل على عالم الدكتور مصطفى محمود الرحب الفسيح ، ونبحر فى أجوائه الروحية والفكرية .

ولندخل الآن معا فى حوار مع الدكتور مصطفى محمود ، حوار هادئ عميق حينا ، ساخن صاخب أحيانا .. حول العديد من قضايا الفكر الدينى والثقافة . ونرى من خلال هذا الحوار رحلة عمر .. وعمق تجربة . ومحصلة قراءات متعددة .. تعطى القارئ عن قرب صورة لهذا المفكر الاسلامى الكبير الذى جعله قلمه فى خدمة دينه وعقيدته ، وكرس حياته لخدمة المسلمين ، عندما بنى مسجده ليكون مسجدا للعبادة . ومستشفى لعلاج المرضى من مختلف التخصصات بأجور رمزية .. وكان ذلك هو التطبيق العملى لما جاء به الاسلام من قيم المودة والرحمة والتعاطف والتكافل الاجتماعى .. ومن خلال هذا الحوار سوف تتسع دائرة الرؤية . وترى عن قرب إنسانا عشق الفكر الاسلامى ، وتعمق

الأدب ، وهام حبا بالعلم .. ومن حصيلة كل هذا نرى إنسانا محبا لله ولرسوله وللمومنين .

الدكتور مصطفى محمود كاتب متعدد الجوانب .. فهو طبيب وأديب وعالم .. وقد مر بتجارب حية .. وخاض معارك فكرية متعددة .. وانتقل من الالحاد إلى الايمان .. بل دخل مرحلة التصوف .. ومن هنا تبرز فى الذهن علامات استفهام كثيرة .. ترى ما هو الطريق الذى سلكه بين الشك والايمان .. وما رأيه فى العوالم الخفية كعالم الجن والعفاريت . وهل هناك سكان فى الكواكب الأخرى .. و .. أسئلة كثيرة مثيرة يجيب عليها الدكتور مصطفى محمود بمنطق العالم .. وبهدوء المفكر .. وبخيال الفيلسوف .. ونحن نستعرض ذكريات حياته .. ونخوض معه تجربة عمره .. نشعر من خلال السطور بتلك التجربة الثرية التى مر بها كاتبنا الكبير .

* * *

استطيع أن أقول عنها فى كلمة واحدة الاحلام ...، فهى كلها أحلام وجو أسطورى أعيش فيه .. ربما يرجع السبب إلى أننى لم أكن الطفل القوى الذى ينفس عن طاقة الطفولة فى النشاط البدنى .. فإذا فكرت فى شىء من هذا فإن الضرب مصيرى ، فكان حظى من اللعب هو الفرجة .. فلم يكن هناك مخرج للطاقة الحيوية التى عندى إلا الحلم

والخيال والأسطورة .. وأنا لا أنسى أبدا حوش المدرسة الابتدائية فى طنطا عندما كانت تنزل الأمطار وتحول الحوش إلى بركة .. فكان الأولاد يرشون عليَّ الماء .. أو يتزحلقون على الطين ، بينما أقومَ أنا بصنع زوارق من الورق والعب بها وأتخيل متى تأتى محملة بالعطور من الهند .. ولا أنسى منظر زوارق الورق وأنا جالس فى حالة شعرية .. فطبعا هذا يعطيك اختلاف الزوايا .. فأنا أخذت زاوية من هذا الخيال الذى كنت أجوب به عالم الطفولة ..

الموسيقى وعزف الناى .. ومولد السيد البدوى .. والصواريخ وليلة القدر .. كنت أحب عزف الناى .. وهويت أن أعزف على الناى وتعلمته باجتهادى .. وكان أول رفيق الطفولة هـو « الناى » وطبعا كانت أولـى محاولاتـى تأليفا .. وجاءت هـذه المحاولات مع أول قصة حب لـى .. وكان عمرى ٩ سنوات أو عشر سنوات لبنت الجيران .. وكان اسمها « عدلية » وكانت فى نفس المدرسة فى قسم البنات ..

وأنا أتذكر أن الأولاد كانوا يجلسون فى بئر السلم ويتناقشون .. كانت عدلية جميلة وكان كل واحد منا يحاول أن يظهر لها أنه فارس .. وكنت أتفوق عليهم جميعا .. لأنها كانت تحب الحكايات وكنت أخترع الحكايات من وحى اللحظة ..

فأحكى حكايات غريبة عن حوريات وأبطال وفرسان .. كنت أقلد أم

كلثوم وأقلد الشيخ رفعت .. كنت أغنى واقرأ القرآن فى نفس الوقت .. وكنت الوحيد الذى ألفت نظرها وأفوز بإعجابها ..ولم يجد الأطفال حلا إلا ضربى (علقة) حتى يتخلصوا منى ..

وأتذكر لحظات الحب فى هذه السن المبكرة .. حتى أتذكر أن قلبى كان يكاد يقف عندما أراها .. وكنت أهديها رواية شعر لشوقى ..وكان طبيعيا فى المرحلة التالية من العمر .. أن تكون هى مرحلة الزجل والشعر وتأليف القصة .. كنت أكتب الشعر .. وكان أول بيت شعر كتبته :

صرع الحب فؤادى فاشتكى ∴ ماله من صاحب غير البكا

وأتذكر أن أخى الأكبر رأى هذا البيت فذعر وقال : إن أعظم الشعراء مهنتهم التسول .. فهل أنت أكبر من المتنبى الذى عاش على التسول من قصور الخلفاء .. لقد صدمنى أخى .. لهذا كرهت الشعر واتجهت مواهبى نحو النثر ..

فى بداية سنى المدرسة لم أكن تلميذا مجتهدا .. قد رسبت فى السنة الأولى الابتدائية ثلاث سنوات .. وكانت درجاتى دائما هى الصفر .. وعندما يسألوننى فى البيت عن درجاتى أقول لهم : كالعادة . لم يرهقنى أحد فى الاسرة .. كانوا يضحكون ويستقبلون ذلك بروح رياضية .. ولم يكن هذا يرجع إلى غباء أو تخلف عقلى .. ولكن يرجع

ذلك إلى أن المدرسين فى هذه المرحلة كانوا يتبعون اسلوب الضرب والتخويف ..كان حظى كل يوم مسطرة على يدى.. فطبعا كنت أرتعش طوال الدرس .. وهكذ كان ينتهى الدرس دون أن أحصل شيئا .. نفس الحكاية حدثت قبل ذلك فى الكتاب .. فقد قطعت يدى من الضرب فى كتاب الشيخ محمود .. فكانت النتيجة أننى كنت أنزل من البيت لأذهب إلى الكتاب ، وأهرب إلى البحر ومعى(السندوتش) .. وأرجع إلى المنزل فى وقت رجوع الكتاب ..

.. فكانت سنوات الدراسة الأولى صراعا مع الخوف واستغراقا فى الحلم والخيال والأسطورة وميلا إلى الإنطواء .. لكن مع الوقت ومع مضى السنين حاولت أن أصارع هذا الخوف وأغلبه .. وأستطعت أن أستأنف دراستى الابتدائية بدون رسوب أو تخلف .. فى هذه المرحلة كانت تستهوينى علوم الكيمياء .. الفلك .. الطبيعة .. كنا أيامها نأخذ نبذات صغيرة من هذه العلوم .. وعندما دخلت الثانوى ودرست هذه العلوم بتوسع أكثر أحببتها أكثر .. وعملت معملا فى المنزل وكنت أحضر فيه غاز ثانى أكسيد الكبريت والايدروجين والكلور .. وأكسيد الأزوت . وأتذكر أننى حاولت أن أقتل الصراصير بغاز الكلور السام وكانت النتيجة أننى كنت سأموت ..

وأيامها كانت « بيجامتى » واضحا عليها آثار الأحماض .. وكانت

أمى تعاتبنى على ذلك .. لكن كان هناك لون جديد من الأحلام يظهر وهو الحلم العلمى .. كنت أتخيل نفسى رجلا مخترعا .. أخترع أدوية جديدة ، ومواد جديدة ، وأصنع طائرات تذهب إلى القمر .. تحولت أفكارى إلى الخيال العلمى .. وأتذكر أننى اكتشفت نوعا من الصبغة تتأثر بالأحماض والقلويات استخرجتها من « التوت الأسود » وأسميتها صبغة « الكمال توت » ..

هذه الصبغة كانت تحمر بالأحماض وتزرق بالقلويات تشبه صبغة عباد الشمس .. وعملت منها ورقا كورق عباد الشمس واعتبرت ذلك اكتشافا خطيرا .. الحقيقة أن عناصر شخصيتى كلها تبلورت فى هذه المرحلة والتى تدور كلها حول حب العلم والفن والأدب ..

ومع البلوغ جاءت مرحلة التمرد والرفض فى قضية الأديان وأصبحت أناقش كل شئ بمادية متجردة .. وبدأت أعيد نظرى فى جميع الأحكام بطريقة صبيانية .. كان هدفى إعادة تقييم كل شىء .. وبذلك تبلور الخط الآخير الذى قدر له أن يحكم حياتى كلها فيما بعد وهو خط الفكر والتأمل والتفلسف .. وإعادة النظر فى قضية الدين سواء بالرفض أو القبول .. لقد استمر الرفض ربع قرن تقريبا ..

* * *

كانت شخصيتى تنمو فى كل هذه الخطوط فى وقت واحد .. مثلا بالاضافة إلى عزف الناى تعلمت العود .. ودرست النوتة العربى .. وكان

هناك متعهد أفراح بالسيدة زينب كان مع كل فرح يطلبنى .. وكنت وقتها قد دخلت كلية الطب .. وفى نفس الوقت كتبت الشعر والزجل والقصة عند العمل بالصحافة ، عندما كتبت فى مجلة الرسالة سنة ١٩٤٧ أول انتاج قصصى .. فكانت أمى تغضب على غضبا شديدا لطريقة حياتى تلك بين ترددى على الأفراح والكتابة فى الصحف وكيف أوفق بين العمل فى الصحافة والدراسة بكلية الطب .. فكان نتيجة ذلك أننى أخذت ملابسى وسكنت فى « بنسيون » فى حلوان وانقطعت عن الدراسة سنتين حاولت فيهما أن أستقل اقتصاديا وذلك عن طريق مرتب شهرى من جريدة النداء .

وكان مرتبى ١٢ جنيها .. وكان ختام هذين العامين أن سقطت مريضا بحمى التيفود والبارتيفود .. وزارنى أخى وأنا راقد بالمستشفى وأخذ يحدثنى عن حساب الأرباح والخسائر ..

كان بيننا عتاب رقيق وأنا على فراش المرض .. انتهى النقاش بأن أفعل كل ما أريد ولكن بعد التخرج .. وكان يحدثنى من مركز قوة وأنا من مركز الضعف فوافقته .. وأنهيت مرحلة التشرد وعدت إلى المنزل طالبا فى كلية الطب فى محاولة لأخذ البكالوريوس .. وكنت فى نفس الوقت أشتغل مع كامل الشناوى فى الجريدة المسائية .. ثم مع أسرة مجلة التحرير فى بداية انشائها سنة ١٩٥٢ ..

وتخرجت فى ديسمبر سنة ١٩٥٢ طبيب امتياز يحمل عودا ونايا وسماعة .. مليئا بالأحلام والشكوك والتفلسف ..

اشتغلت بالأمراض الصدرية إلى سنة ١٩٦٠ .. وكنت أعمل بروز اليوسف طوال هذه السنوات .. صدرت لى أول مجموعة قصصية سنة ١٩٥٤ « أكل عيش » ثم كتاب « الله والانسان » الذى صدر فى سنة ١٩٥٦ وانتهى حاله إلى المصادرة وانتهى حالى إلى المحاكمة أمام محكمة أمن الدولة التى أيدت مصادرة الكتاب ..

وأيامها قال كامل الشناوى قولته المشهورة :

- الناس يقولون إن هذا الكتاب كتاب إلحادى .. وتقول عليك ملحد .. لقد قرأت الكتاب ورأيتك تلحد على سجادة ..

وهكذا استطاع الفنان كامل الشناوى أن يستشف المؤمن من وراء هذه الزوبعة الإلحادية .. وهذه هى الحقيقة .. فلم تكن قصة الكتاب سوى رجل يتحسس طريقه .. وقصة ملاح ضال يبحث عن شاطئ ..

وكانت الكتب التى أعقبت هذا الكتاب هى تلخيصا لتلك السيرة .. وهذه الملاحة فى البحار وكانت خطوات رحلة فعلية من الشك إلى الايمان .

* * *

كتاب لغز الموت ، لغز الحياة .. و . صاحبها رحلة أخرى على القدم الى غابات أفريقيا وإلى الصحراء الكبرى وإلى المدنية الجديدة فى أوروربا .. وأثمر كل هذا مرحلة جديدة ، فإذا كانت المرحلة الأولى هى إعادة النظر ، فإن المرحلة الثانية كانت إعادة النظر فى إعادة النظر . وضمن هذه المسيرة كانت هناك مسيرة أخرى مع الفلسفة والأديان .. من أيام الهندوسية وكتب الغيدان الهندية وبوذا وزرداشت واليوجا .. وكانت لى جلسة طويلة مع اليوجا . تعلمتها على يد السفير الهندى فى القاهرة « ابا بانت » ..

ولا أنسى فى ليلة كانت لى تجربة أشبه بالجلاء البصرى .. رأيت فيها الزميل الناقد جلال العشرى فى رؤيا منامية يسير مع الزميل شوقى عبد الحكيم فى شارع سليمان باشا يتكلمان فى مواقع نقدية .. ثم علمت أنهما كانا فى نفس لحظة الحلم يسيران بالفعل معا فى شارع سليمان باشا ويتكلمان فى مواضيع نقدية .. فكانت هذه الرؤيا شيئا عجيبا .. ولم يكن لها تفسير سوى أن الانسان يملك بالفعل وسائل للرؤيا والسمع غير عينيه وأذنيه ..

وقد حاولت أن أقوى فى نفسى هذه القوة بأساليب اليوجا ففشلت ولم تتكرر هذه التجربة .. ولكن حدث بعد شهور وحينما نشرت لى قصة قصيرة فى « صباح الخير » بعنوان « مادة الأحلام » أن جاءنى تليفون

من قارئ يقول لى : كيف تجيز لنفسك ان تروى قصة حياتى وتروى عنى كل هذه التفاصيل بدون أذنى .

ولم أكن أعرف الرجل وما قصدت أن أفضح أحدا .. وانما هو سهم من سهام الخيال إنكشفت فيه مرة أخرى بارقة من بوارق الغيب المحجوب .. ومرة أخرى حاولت أن أقوى هذه القوى ولم استطع ..

ثم مرة ثالثة جمعت المصادفة مع صديق من الأصدقاء الذين يشتغلون بتحضير الجن .. ورأيت فى هذه الجلسة من الخوارق ما يقطع بوجود كائنات عاقلة غير منظورة معنا .

ثم مرة رابعة جمعتنا المصادفة بصديق من الذين يشتغلون بحساب النجوم فتنبأ هذا الشخص بأحداث وتفاصيل تحققت فيما بعد بدقائقها وفى أوقاتها .. وأزمانها .. وكانت نتيجة هذه اللحظات هى ما يمكن ان نسميه شكا فى الشك .. وقد شعرت بشعور من يقف على أرض ثابتة ثم انسحبت هذه الأرض من تحت قدميه فجأة فأصبح يجد نفسه واقفا فى الهواء ..

الصورة المادة التى صورها للعالم اتضح أنها ناقصة كاذبة والتوصيف العلمى المادى للانسان لا يفسر الانسان .. والفلسفة المادية لا تفسر الحياة والغيب حقيقة ورب الغيب حقيقة .. لا يمكن تفسير أى شئ بدونه ..

وعدت إلى الدين والكتب السماوية .. وعدت أقرأ القرآن بقوة

جديدة ، وكانت ثمرة هذا التحول سلسلة الكتب (القرآن محاولة لفهم عصرى) .. والكعبة .. محمد .. التوراة .. حوار مع صديقى الملحد .. رأيت الله .. وغرقت فى التصوف ورجال الصوفية وطلاسم العارفين بالله .. وكتبت كتابى « السر الأعظم » وأنا فى هذا البحر .. ولا أشك الآن فى أن علوم التصوف الاسلامى هى بحر عظيم تصب فيه جميع الجداول وتجد فيه كل المعارف وتكاد تكون أعظم ما أخرجته المكتبات الاوربية من مؤلفات (كانت) و (هيجل) وتكاد تكون كلها مجرد روافد من هذا البحر العظيم .

أنا دائما لى رأى .. وهو رأى الغزالى أيضا ، ليس فى الامكان ابدع مما كان .. ولو أن أى انسان حاول أن يعيد مشوار حياته فلن يستطيع ان يعيش إلا ما عاشه فعلا ، ولكن ايمان العجائز لا يناسب إلا أصحابه .. وهو ما كان يناسب الغزالى أيضا .. وقد اختار الله للغزالى الايمان الذى يناسب الغزالى ، واختار الله لى الايمان الذى يناسبنى ، واختار للأطفال الايمان الذى يناسبهم ..

والعدل الالهى هو ان نضع الحق فى مكانه .. ونجعل الرجل فى مكانه .. ونلبس كل انسان لباسه .. ونقول القول فى مناسبته .. فتلك هى الحكمة .. ولهذا لو عدت إلى طفولتى ما اخترت لنفسى إلا ما اختاره الله لى .

منتهى أمالى هو العودة إلى سنوات الصفاء التى عشتها فى بواكير التحول الكبير .. العود إلى حياة التجريد والخلوة والانقطاع .. والعكوف على المعارف الالهية وهو أمر أجده الآن صعبا وأجد الدنيا تغلبنى وتأخذنى فى دوامتها ..

ويبدو لى أحيانا أن المسلم مطالب بأن يحمل راية الحق دون عزلة ودون خلوة ودون ان ينقطع فى غار أو يتجرد للعبادة فى مسجد .. وانما عليه ان يمارس ايمانه ويباشر دينه ويحمل شريعته وهو يخوض الدنيا ، ويكافح الزحام بكتفه .. والمشكلة هى كيف تنزل البحر دون أن تبتل ؟ وكى تخوض فى أوحال الشهوات والمصالح والمغريات دون ان تلوثك ودون ان تسرقك من نفسك ؟ ..

ان الاحتفاظ بالطهارة هنا أصعب ألف مرة من الاحتفاظ بالطهارة أثناء الخلوة والتجرد والانقطاع .. لكن يبدو أن هذا هو الكلام المطلوب من الانسان .. ان يعبر بحر الدنيا دون ان يبتل .. وليس له ان يعتزل فى صومعة على الشاطىء .. وأعترف أننى دون هذا الكمال بكثير ..

ومنتهى أملى أن أحقق هذ الهدف .. وأن أخرج من بحر الدنيا دون ان ابتل ، فإن لم استطع فأرجو أن أجد مهربا فى كوخ أو جب تحت الأرض ..فهذا أفضل وأرحم من الخروج من الدنيا مثقلا بالأخطاء ، وخطيئة العارف أفدح من خطيئة الجاهل .. فنطلب من الله السلامة ..

حتى الفن .. وهو خط آخر يسير مع خط الفكر . حب الفن فى حياتى حقيقة كبرى ، وشيطان الفن ما زال يعابثنى وانا اسميه شيطانا .. لأن الفن دائما يحمل للانسان الخيلاء والغرور .. والاحساس بالنفس والشهرة والقدرة على التأثير فى الاخرين والشعور بأنه يخلق شيئا .. يقول ربنا عن الشعراء فى القرآن : انهم فى كل واد يهيمون وانهم يتبعهم الغاوون .. وهذا الهيمان وهذه الغواية تجدها دائما صفات ملازمة لكل فنان : فهو دائما فى حالة « هيمان » .. واذا لم يذهب إلى الغواية جاءت الغواية إليه .. ثم هم بحكم كونهم فى دائرة الضوء وأمام عدسات الكاميرات وفى عيون الجماهير . وتلك كلها مزالق الشيطان يتعرض لها الفنان . ولكن الفنان فنان ولا يستطيع أن يكون غير ذلك .. وقد ظل الشيطان ، شيطان الفن يعابثنى ولا يزال .. فأجدنى اعود للكتابة فى القصة .. وفى الرواية والمسرح .. وهذه المرة احاول ان اطوع الفن للدعوة البريئة والهدف الدينى ..

وآخر ما كتبته مسرحية بعنوان (يوم القيامة) .. ومسلسلة بعنوان المسيخ الدجال .. وتدور أحداث الرواية فى الجنة والنار .. فهى نوع من الكوميديا الالهية العصرية . . ونوع من رسالة الغفران .. ولكن تتناول ابطال عصرنا وما سيجرى لهم فى الجنة والنار .. وهو مرة أخرى تطفل شيطانى من الاديب الذى يصور

لـه شيطانـه انه يعلم مصيـر النـاس فـى الاخـرة .

ثم كتابى الاخير « نقطة الغليان » .. ولا أدرى هل استطيع ان أطوع الفن مثلا للدين أم ينجح أن يطوعنى هو لشيطانيته .. ومرة اخرى نرجو من الله السلامة ..

ما زلت أعزف العود احيانا .. واستمع إلى صوت فيروز وإلى موسيقى باخ وبيتهوفن وشوبان .. وتدور بينى وبينه وبين عبد الوهاب المساجلات المستمرة عن الاغنية واستقبالها .. وجزء مـن مسرحيتى يوم القيامة يـدور حول تسابيح الملائكة فى السمـاء .. وجزء آخر يدور حول عبث الشياطين وأغانيهم وفنهم فى الدنيا ..

* * *

رأيى أن هذا الامر مؤكد وهو أكثر من احتمال مرجح ، لأنه يتناسب مـع العظمة الالهية ومع اتساع الكون .. ومع وصف الله بأنه رب العالمين .. انه يوصف دائما رب العالمين .. والعالمون لفظ جمع .. ثم ان القران يتحدث عـن السموات السبـع .. وان اللـه خلق مـن الارض مثلهن .. يعنى سبع اراضين .. ونحن لا نرى حولنا الا سماء واحدة ثم الآية القرانية : « ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » .

معنى هذا .. ان السماوات فيها دواب (غير الملائكة لأن الملائكة

ليسوا دواب) .. ثم كلام الهدهد عن الله .

« يعلم الخبء فى السموات يحاول ان يخفيه أصحابه ولكن الله يعلمه .. ثم ان الله يكشف لنا فى مملكة الاحياء ظاهرة التنوع والتعدد .. فنرى من الفراش وحده ملايين الاصناف والأجناس ولايشبه فراش فراشا آخر ، وترى مثل ذلك فى مملكة العناكب ..

وحتى فى اى نوع من النباتات مثل العنب الفيومى والبناتى وجناكليس الخ . وفى القطن نجد طويل التيلة وجيزة ٧ .. فمن باب اولى أن يظهرنا ربنا على تنوع أوسع وأشمل فى السموات .. فهذا يتناسب مع سعة ملكه ..

يقول العارفون بالله : « ليس فى السموات شبر واحد يخلو من ملك ساجد أو ملك راكع » .

وليس بمستغرب ابدا ان تكون هناك عوالم مسكونة ..

* * *

الفصل السادس

العلم عاجز عن التفسير والدين هو طريق السكينة



بحار الفكر الاسلامى .. واسع عميقة والملاح الماهرمن يغوص فيها دون ان يغرق أو يتوه .. والعلاقة بين العلم والدين علاقة تكامل دون إنطباق .. فالعلم مجاله التجريب والظن والتخمين والقرآن هو عالم الحقيقة واليقين لأنه من الخالق .

وفى حوار إمتد لساعات طويلة مع الكاتب والأديب والمفكر الدكتور مصطفى محمود ، هو حوار شائق وساخن يطرح فيه مفهوم الايمان .. وما هو الدين ؟ .. ولماذا أطلق على العصر الذى نعيشه « عصر القرود » . وما هو الحب الأسمى للنفس .

ويمتد الحوار مع الدكتور مصطفى محمود .. ويأخذ مساره نحو الفكر الاسلامى .. لأنه فكر خصب وثرى ويمتد أثره إلى أعمق أعماق النفس البشرية .. وأهمية الدين تبرز لا من ناحية الاعتقاد فحسب بل هو يشكل شخصية الانسان وسلوكه ويتغلغل إلى كل ذرة فى كيان الانسان وحركات المجتمع..وهو بالتالى ليس بعيدا عن السياسة ..

أو على حد تعبير الفيلسوف المسلم محمد إقبال عندما تساءل : هل نستطيع أن نحتفظ بالاسلام من حيث هو نظام مثالى للأخلاق وأن

نرفضه كنظام سياسى ونستعيض عنه بسياسة قومية لا تفسح فيه مجالا للعامل الدينى ؟ .

وأجاب : ليس الدين مجرد تجربة خاصة تجرى داخل المرء دون أن يكون لها تأثير فى محيطه الاجتماعى .. إن الاسلام تجربة شخصية مفضية إلى قيام نظام اجتماعى تشتق منه الأصول اللازمة لنظام سياسى .. إن المثل الدينية فى الإسلام متصلة إتصالا وثيقا بالنظام الاجتماعى الذى إنبثقت منه وإذا كان قيام نظام سياسى على قواعد قومية صرفة من شأنه أن يزحزح مبادىء التضامن الاسلامى فهو أمر لا يمكن أن يتصوره المسلم .

وبدأت الحوار مع الدكتور مصطفى محمود حول الفكر الاسلامى .. قلت له : كان العقاد يقول : أومن بالله وراثة وشعورا وبعد تفكير طويل ..

والوراثة والشعور معروفان .. أما بعد تفكير بالتطور فى عالم لا أول له خرافة تعرض عنها العقول لأن إبتداء التطور يحتاج إلى شىء جديد فى العالم .. وحدوث التطور بغير ابتداء تناقض لا يسوغ فى اللسان فضلا عن الفكر أو الخيال .. والقول بالارتقاء الدائم عن طريق المصادفة زعم يهون معه التصديق بالخرافات وخوارق العادات فى تركيب الأجسام أو الأحياء .. والقول بإن المادة تخلق العقل كالقول بإن الحجر

يخلق البيت وأن البيت يخلق الساكن فيه .. وأيسر من ذلك عقلا بل ألزم من ذلك أن يقال أن العقل والمادة موجودان وأن أحدهما يسوق الآخر ويسبقه وهو العقل .. لأن المادة لا يوجد ما هو أفضل منها .. وفاقد الشيء لا يعطيه .

وخرج العقاد من هذا التسلسل المنطقى بقوله : فأنا أومن بالله وراثة .. وأومن بالله شعورا .. وأومن بالله بعد تفكير طويل .

ترى .. هل مررت بتلك المراحل ؟

أجاب الدكتور مصطفى محمود :

- الحقيقة أننى لم أشك يوما فى وجود الله ووحدانيته .. فهذه أشياء موجودة فى قلبى بالفطرة .. ولكن كان هناك مسائل كثيرة كنت أفكر فيها كثيرا .. مثل مسألة الجبر والاختيار ..والجنة والنار .. والخلود فى الجنة والنار .. والقرآن هل جاء معناه للنبى عليه الصلاة والسلام أم جاء بحرفه ؟ كل هذه المسائل كنت كثير التفكير فيها .. ومع الوقت انتهت هذه الشكوك .. وأصبحت ثابت اليقين .. وهذه هى التى دخل فيها عنصر القراءة .. وعنصر التفكير .. وأشعر أننى كلما درست وإطلعت زدت يقينا بكل حرف جاء فى القرآن الكريم ولكن الايمان بالله سبحانه وتعالى حقيقة وأنا أحس بها .

قلت له : لك كتاب ممتع (حوار مع صديقى الملحد) .. ترد فيه

بموضوعية على دعاوى الالحاد والزندقة والتحذلق بإسم العلم .. هل يمكن أن تعطى القارىء موجزا لفكرة هذا الكتاب ؟ أو الخطوط الرئيسية له ؟

قال : الخطوط الرئيسية فيه أنه يعكس محاورات بلا حدود مع الشباب الذين مروا بنفس التجربة .. إنه يرد على البعض الذى يأتى وعنده عنجهية كفر يكون سلاحه بعض النظريات أو الكتب والذى يعتقد أنها تفسر كل شىء .. وأننا لسنا فى حاجة إلى أنبياء ولا كتب سماوية .. ولكن العلم عاجز تماما عن تفسير دموعك وحزنك وشقائك ولا يستطيع العلم تفسير الموت .. أنه يقف امام الموت عاجزا ..

العلم كل الذى يستطيع فعله انه يدرس مقادير وعلاقات بعضها بالبعض الاخر والقوانين التى تربطها وكيف نتحكم فى البيئة .

إنما نفسك .. إن النفس الانسانية أمام المصير والمرض والشيخوخة .. والألم .. كل ذلك يقف أمامها العلم عاجزا .

العلم عاجز عن تفسير النفس الانسانية .. والمصير والألم .. إن كل ما يستطيعه العلم أن يعرفنا بالبيئة معرفة أحسن وأتم بحيث يمكننا الاستفادة بها .

فالعلم مجاله محدود .. لا يمكنه أن يفسر أزمة النفس الانسانية .

إذن لابـد أن نلجأ الى شىء آخر غير العلم .. لابد أن نلجأ إلى علم النفس والفلسفة والأديان القديمة بدءا من الفيدات وزاردشت وبوذا إلى اخر كتـاب سماوى وهو القرآن الكريم .

وإذا أنصفت وقرأت بحياد سوف تكتشف أن القرآن يجبها جميعا ويحتـوى عليها .. ويضمها تحت عباءته ويضيف .. وهذه أشياء سوف تعرفها بعد رحلة من الاخلاص وهذا هو الخط الثانى ..

والخط الثالث : سوف يجيب عنه من يصدقنا ويمشى معنا فى الطريق .. سوف تحدث داخله تغيرات تؤكد أنه سار فى الطريق الصحيح .. هناك أشياء لا يدركها الإنسان إلا اذا سار فى هذا الطريق .. إنه سوف يشعر بعالم السكينة ..

وتزداد أنتاجيته .. ويشعر بالوقت المبارك ويستفيد من الوقت .. ويصبح عنده القدرة فى أن يحكم نفسه .. أن يتحمل الألم قدرة الصبر التى تنمو فيه .. علاج القلق والأمراض النفسية ، كل هذه تتم بالخبرة عندما يسجد المؤمن سجوده التام .. انها بصمة الله سبحانه وتعالى ودليله القهرى الذى لا يناقش بأن الطريق الذى سرت فيه صحيح .

قلت له : وأنت تشرح فى برنامجك الناجح (العلم والايمان) نظرية النسبية .. وتعرضت لمشكلة الخلود .. وطبعا هناك أشياء لا يمكن إدراكها بالعقل .. ولكن كيف نتصور الخلود ؟

قال : هناك أشياء لا تتصور ولكنها تحتاج الى استشعار .. عندما تملك الحس الصوفى فإنك تحس بالتسرمد .. حسب نوعيات ودرجات الناس هناك من يعيش على مستوى الشهوات وهى لحظات يأكل بعضها البعض الاخر .. ويلى ذلك أهل العاطفة وأهل التأمل وأهل الاستشراق .. وعندما تصل الى مرحلة الاشراق يمكنك أن تتذوق (تأبيد) اللحظات .. هذه حالة لا يمكن وصفها .. ويمكن أن أقول لك : إننى لم أحس بها دائما ولكن فى لحظات الصفاء جاءنى هذا المدرك العميق . وهى تجارب باطنية صرفة .. ولكن واضح ان هناك عدة أزمان لا زمن واحد أو على رأى العقاد .. كان يقول :

- أن المؤمن هو اللعبة التى عملها للأبد !

قلت له : ما محاذير التفسير العلمى للقران ؟

- بمعنى ؟

- بمعنى أن هناك من يعترض على التفسير العلمى للقرآن على أساس أن النظريات العلمية تتغير ولكن الحقائق القرآنية لا تتغير وبالتالى ينبغى ألا نربط القرآن بالتفسير العلمى .

قال الدكتور مصطفى محمود :

- ليس كل علم متغيرا .. هناك علوم متغيرة وهناك علوم ثابتة ..

فالأرض ثبت أنها كروية وصورت من القمر .. وانتهى الأمر . وعرفنا سر الليل والنهار والرياح والفصول .. أو أن الماء يغلى فى درجة (١٠٠) فى الضغط العادى .. كل هذه حقائق علمية ثبتت وأصبحت حقائق وهكذا ..

هناك مثلا قانون الجاذبية .. الجاذبية حقيقة ولكن .. قد يأتى أينشتين بنظرية ونيوتن بنظرية .. ولكن الجاذبية حقيقة .. فهناك حقائق .. وهناك ثوابت .. وهناك تخمينات .. والمحاذير هو أنك ينبغى ألا تربط الدين بالتخمينات .

الشىء الثانى لا ينبغى (ليٌ) الآيات .. أى أن تمسك بالايات وتحاول التفسير على حسب مقتضى الأمر .. وإنما عليك أن تأخذ الآية بمدلولها ومعناها ..

كما ينبغى أن تعرف أنه ليس كل القرآن هو الذى يفسر تفسيرا علميا ولكن الذى يفسر علميا جانب واحد المتعلق بالآيات الكونية : كل ما يخص الرياح .. والنجوم .. والفلك .. والجنين .. وهى آيات قليلة فى مجموعها ولكن واضح أنه لابد أن يشترك العلم فى تفسيرها لأنها أصلا تتحدث عن مسائل علمية .. ولكن أن ينفرد بها الفقيه فهذا خطأ ..

ويقول الدكتور مصطفى محمود : الذى يقرأ القرآن لابد أن يتخذ

موقف الوسط فلا يسرف .. ولا يجور على اية .. ولكن التفسير العلمى له مكان فى القرآن وإنكاره خطأ جدا من السلفيين أو الذين يريدون أن يجعلوه كله فقها .

ولكن هناك آيات كونية لابد أن يستدعى فيها العالم ويؤخذ رأيه .

ولحسن الحظ أن رأيه دائما يكون على صواب .. وهناك علم الموافقات .. ونرى أن الثوابت العلمية متفقة مع ما جاء فى القران الكريم .

والدكتور مصطفى محمود يرى أن الدين ليس حرفة ولا يصلح أن يكون حرفة .. ولا توجد فى الاسلام وظيفة اسمها رجل دين .

ومجموعة الشعائر والمناسك التى يؤديها المسلم يمكن أن تؤدى فى روتينية مكررة فاترة خالية من الشعور فلا تكون من الدين فى شىء .

ويقول الدكتور مصطفى محمود : ليس عندنا زى إسمه « زى اسلامى » .. والجلباب والسروال والشمروخ واللحية إعراف وعادات يشترك فيها المسلم والبوذى والمجوسى والدرزى .. ومطربو الديسكو والهيبز لحاهم أطول .. وأن يكون أسمك محمدا أو عليا أو عثمان لا يكفى لتكون مسلما . وديانتك على البطاقة هى الأخرى مجرد كلمة .

والسبحة والتمتمة والحمحمة وسمت الدراويش وتهليلة المشايخ

أحيانا يباشرها الممثلون بإجادة أكثر من أصحابها . والرايات واللافتات والمجامر والمباخر والجماعات الدينية أحيانا يختفى وراءها التآمر والمكر السياسى والفتن والثورات التى لا تمت إلى الدين بصلة .

- ما الدين إذن ؟

- الدين حالة قلبية .. شعور .. إحساس باطنى بالغيب وإدراك مبهم .. لكن مع ابهامه شديد الوضوح بأن هناك قوة خفية حكيمة مهيمنة عليا تدبر كل شيء .

احساس تام قاهر بأن هناك ذاتا عليا .. وان المملكة لها مالك .. وأنه لا مهرب لظالم ولا إفلات لمجرم .. وإنك حر مسئول لم تولد عبثا ولا تحيا سدى وأن موتك ليس نهايتك .. وإنما سيعبر بك الى حيث لا تعلم .. إلى غيب من حيث جئت من غيب .. والوجود مستمر .

وهذا الاحساس يورث الرهبة والتقوى والورع ويدفع الى مراجعة النفس ويحفز صاحبه لأن يبدع من حياته شيئا ذا قيمة ويصوغ من نفسه وجودا أرقى وأرقى كل لحظة متحسبا لليوم الذى يلاقى فيه ذلك الملك العظيم مالك الملك .

هذه الأزمة الوجودية المتجددة والمعاناة الخلاقة المبدعة والشعور المتصل بالحضور أبدا منذ قبل الميلاد إلى ما بعد الموت .. والإحساس

بالمسؤلية والشعور بالحكمة والجمال والنظام والجدية فى كل شىء . هو حقيقة الدين .

إنما تأتى العبادات والطاعات بعد ذلك شواهد على هذه الحالة القلبية .. لكن الحالة القلبية هى الأصل وهى عين الدين وكنهه وجوهره .

وينزل القران للتعريف بهذا الملك العظيم .. ملك الملوك وبأسمائه الحسنى وصفاته وأفعاله وآياته ووحدانيته ويأتى محمد عليه الصلاة والسلام ليعطى المثال والقدرة وذلك لتوثيق الأمر وتمام الكلمة .

ولكن يظل الاحساس بالغيب هو روح العبادة وجوهر الأحكام والشرائع وبدونه لا تعنى الصلاة ولا تعنى الزكاة شيئا .

ولقد أعطى محمد عليه الصلاة والسلام القدوة والمثال للمسلم الكامل . كما أعطى المثال للحكم الاسلامى والمجتمع الاسلامى .. ولكن محمداً صلى الله عليه وسلم وصحبه كانوا مسلمين فى مجتمع قريش الكافر .. فبيئة الكفر .. ومناخ الكفر لم يمنع أيا منهم من أن يكون مسلما تام الاسلام .

وعلى المؤمن ان يدعو الى الايمان ولكن لا يضره ألا يستمع أحد .. ولا يضره أن يكفر من حوله .. فهو يستطيع أن يكون مؤمنا فى أى نظام وفى أى بيئة .. لأن الايمان حالة قلبية والدين شعور وليس مظاهرة والمبصر يستطيع أن يباشر الأبصار ولو كان كل الموجودين

« عميا » .. فالأبصار ملكة لا تتأثر بعمى الموجودين .. كما أن الاحساس بالغيب ملكة لا تتأثر بغفلة الغافلين ولو كثروا .. بل سوف تكون كثرتهم زيادة فى ميزانها يوم الحساب .

أن العمدة فى مسألة الدين والتدين هى الحالة القلبية .

فالدين هو أكبر بكثير من أن يكون حرفة أو وظيفة أو مؤسسة أو زيا رسميا .

نحن نسير فى عصر يسابق الانسان ظله نحو التقدم المادى والتكنولوچى الذى لم يسبق له نظير فى كل العصور وفى ظل هذا التقدم الهائل فقد الانسان الكثير من قيمه حتى أننا نرى الكثيرين من المفكرين العالميين من نعى هذا العصر ومنهم من ترك المدنية المعاصرة ليهرب ويعيش فى أفريقيا .. حيث الفطرة .. والبكارة .. مثل البرت شفايتزر الحائز على جائزة نوبل .. هذا العصر يطلق عليه الدكتور مصطفى محمود عصر القرود .

- كيف ؟

تلوث كل شئ .. وأخطر أنواع التلوث فى رأى الدكتور مصطفى محمود هو التلوث الخلقى إنه يقول :

- أخطر أنواع التلوث فى هذا العصر هو التلوث الخلقى بما استحدث

الانسان من وسائل اعلامية تدخل على الانسان غرفة نومه وتزاحم العائلة على مائدة العشاء مثل التليفزيون والراديو الترانزستور بحجم الكف الذى يأخذه النائم فى حضنه .. ومن خلال هذه الوسائل الحميمة أصبح فى إمكاننا أن نقدم للناس ما نريد وأصبح فى الامكان ان نروج للباطل وننشر الاكاذيب .. وأصبح فى الامكان أن ندعو للشهوات عيانا بيانا بما نغنيه على أسماع الناس ليل نهار من كلمات عارية وما نعرضه على أعينهم من مغازلات فيتربى الصغار على أن هذا هو الأمر الواقع .. فينتهى الحياء وبانتهاء الحياء تبدأ دولة القرود ..

ويقول أيضا : ونحن الان سيداتى سادتى .. قادمون على عصر القرود .. برغم أن الانسان مشى على القمر وتحكم فى طاقة البخار والبترول والكهرباء والذرة وغزا الفضاء .. لكنه بقدر ما حكم هذه الاشياء بقدر ما فقد التحكم فى نفسه وبقدر ما فقد السيطرة على شهواته ..

ولهذا فنحن أمام إنسان أقل رحمة وأقل مودة وأقل عطفا وأقل شهامة وأقل مروءة .. وأقل صفاء من إنسان العصر الزراعى المتخلف ..

لقد تقدمنا خطوات الى الأمام وسرنا مثلها الى الخلف ..

سألوا نجمة عالمية من نجوم السينما الفاتنات معروفة بإضرابها عن

الزواج عن رأيها في الحب فقالت : أوه .. لا أومن إلا بالعلاقة المادية المباشرة مع الرجل وبعد ذلك تأتى المسائل الأخرى .. إن قدر لها أن تأتى .. أو بالعبارة الموضوعية :

نباشر بعضنا البعض أولا ثم تأتى بعد ذلك الصداقة أو الحب إن قدر له أن يأتى .

ترى من يكون السيد الحاكم فى سلوك هذه السيدة سوى أعضائها التناسلية .

وأبشروا سيداتى سادتى بمجىء عصر القرود .

والحب الأسمى عند الدكتور مصطفى محمود ليس هذا الحب الزائل بين رجل وامرأة .. ولكن الحب الحقيقى هو الذى يرتفع الى مستوى أسمى وأرفع وأرقى إنه حب الذات الالهية .. وبشاعرية .. وعمق إلى جوهر الأشياء .. ثم نراه يقرأ هذا الابتهال الذى يتجه الى الله .. جل علاه - وهو يوضح فلسفة أديبنا المفكر الدكتور مصطفى محمود .. إنه يقول فى ابتهاله الجميل المغلف بالرؤى الفلسفية إن صح التعبير :

إلهى يامنبع جميع الأنوار

ترى من نحب حين ننظر الى بعضنا البعض ؟! وهل نحب إلا نورك أنت وأثر يديك على الصلصال وهل يسكرنا إذا سكرنا إلا نفخة روحك

التى نفختها فينا وهل نطالع فى كل جميل إلا وجهك .

وهل كل يد شافية وكل قبلة رحيمة إلا ترجمان رحمتك .

فكيف يا إلهى تضل بنا الأودية وتتفرق السكك ونخرج من إسمك إلى أسمائنا . فنسجن أنفسنا فى هذا الصدر أو نتوه فى ذلك العنق أو نهاجر فى تلكما العينين ونتسكع أيدينا على نحاس الأضرحة فنلثم الشفاه ويخيل الينا أننا نذوق إلا زجاج الكئوس التى أودعت فيها ذلك الرحيق الخفى الذى هو سر أسرارك ويخيل الينا أننا بلغنا المنتهى وما بلغنا إلا لمس الغلاف وتحسس المحارة .. أما اللولؤ داخل المحارة والنور المغيب فى شغاف القلوب والسر المودع فى العيون فليس لنا منه إلا حظ القرب والمطالعة والاستشراف من بعد حيث لا وصال ولا اتصال ولا انفصال ولا نوال .. وإنما فى الذورة ـ الاحساس يأتى ذلك الاغماء .. وتلك الغيبوبة الصاخبة .. وتلك النشوة الغامرة حينما نوشك أن نكون قاب قوسين أو أدنى من لقاء السر بالسر .

ولا سر إلا سرك وإن تعددت الأسماء وتنوعت المفاتن واختلفت الوجوه .إنما هو أنت وحدك المحبوب أينما توجه قلب محب وأنت وحدك المعبود أينما توجهت نظرات عابد .

وأنت وحدك الرزاق وإن تعددت الايدى التى تعطى إنما تستمد جميع المصابيح من نورك . كل مصباح يأخذ منك على حسب

استعداده ويعطى من نورك على حسب شفافيته .

ولكن العطاء فى الأصل منك والجمال منك والنور منك .

سبحانك لا شريك لك ..

سبحانك والحمد لك ..

سبحانك والحب لك ..

سبحانك ما لثمت إلا أياديك وما قبلت إلا وجهك .. وما سبحت إلا لنور عينيك وإن نطقت فى كل مرة إسما غير اسمك .. فإنما هو ضلال اللسان فى القراءة وضلال العين فى الرموز وقراءة الشيطان للشفرة الخطأ .. وإنما هو التخبط فى الحجب وتلثيم الأضرحة وتقبيل النحاس .. وغفلة الطبع عن الحقيقة .

يارب .. سألتك بإسمك الرحمن الرحيم أن تنقذنى من عينى فلا ترينى الأشياء إلا بعينك أنت .. وتنقذنى من يدى فلا تأخذنى بيدى بل بيدك أن تجمعنى بها على من أحب عند موقع رضاك .. فهناك الحب الحق .. وهناك أستطيع أن أقول .. لقد اخترت .. وأنت الوحيد الذى توثق جميع الاختيارات وتبارك كل الحريات .. أنت الحرية .. ومنك الحرية وبك الحرية ..وأنت الحب ومنك الحب وبك الحب أنت الحق والحقيقة .

وما عدا ذلك أضرحة ونحاس وخشب وصلصال وحجارة وأهداب

وعيون ومحاجر وأوثان تسجد لأوثان .. لا تدعنى ياألهى فى الظلمة ألثم الحجارة وأعانق الصلصال وأعبد الوثن .

بشفة الشيطان لثمت هذه الأشياء وظننت أنها شفتى . وبذراعى الشيطان عانقت وظننت أنهما ذراعاى .

استحلفتك بضعفى وقوتك ..

وأقسمت عليك بعجزى واقتدارك ..

ألا جعلت لى مخرجا من ظلمتى إلى نورى ومن نورى إلى نورك .. سبحانك لا إله إلا أنت .. لا إله إلا الله ..

* * *

الفصل السابع

الذين يقولون بالاسلام السياسى لايفهمون شيئاً !



الاسلام محاصر فى خندق صغير .. محاصر من أعداء فى الخارج وأعداء من الداخل .. رسالته معطلة وغائب عن الصورة ! .. والذين يقولون بالاسلام السياسى لا يفهمون شيئا ! العقل العربى لم يعجز والثقافة الاسلامية المستنيرة تملأ الساحة والرواد لهم مكان على الورق ولا مكان لهم على الحوادث !

وقضايا أخرى تحدث عنها وفيها الدكتور مصطفى محمود فى حوار شامل تناول فيه هموم عالمنا الاسلامى وما يعانيه ، وعالم الصوفية وما فيه من غموض وأوهام تحضير الأرواح .. ورحلة مصر مع رسالة التوحيد من بداية التاريخ .

العلاج بالارواح :

كذب وأوهام لتضليل البسطاء ..

وما درجات التصوف ؟

ما دور الاسلام بعد التغيرات العالمية الأخيرة .. عالم الدولة الكبرى الوحيدة .. وهل يمكن أن يكون للاسلام فى التوازنات الدولية المعاصرة ؟
- قال الدكتور مصطفى محمود :

واضح أن الاسلام محاصر فى خندق صغير .. محاصر من أعداء فى الخارج وأعداء من الداخل من العائلة الاسلامية ..

وأولا .. الأعداء الخارجون فرقوا دائما بين الاسلام وبين كل تطرف وأرهاب وقتل وتلغيم عربات ، وضرب سفارات هذا من ناحية قد تحول الى نوع من الحكم التعسفى المطلق من جماعة الغربيين الذين يقفون ضد الاسلام وأصبح الاسلام يعني هذا .. وهم يسمون ذلك الأصولية .

وثانيا .. فإننا نرى من الداخل هناك جماعات اسلامية .. فى نفس البيت الاسلامى للأسف .. جماعات اسلامية تولت بعضها هذه المسائل بدءا من خطف الرهائن أيام الخومينى وتسلسلا مما تعلنه بعض فئات المنظمات الفلسطينية الاسلامية والجماعة الذين يتطوعون ليعلنوا عقب أى مصيبة بأنهم مسئولون عنها .. وآخر ما حدث ما قاله : منعم رئيس الأرجنتين عندما أعلن عن الحادث الأخير الذى حدث فى السفارة الاسرائيلية أن وراءه أصابع نازية ، الهاربون فى الأرجنتين فإذا بالجهاد الاسلامى فى لبنان يعلن أنه وراء ذلك ..

فكلام الرئيس الارجنتينى هو الأقرب الى المنطق .. ولكن لا نفهم ألا يكفى ان لنا أعداء حتى يتطوع أصحاب الدين الاسلامى ليقولون للعالم (أننا قتالين قتله) !! ان القتل العشوائى جريمة منكرة .. أن نقتل أناسا لا نعرفهم.. ناس راكبين طيارة ولا نعرف عن ركابها شيئا فاذا بهم ينسفون الطائرة بلا مبرر .. وما ذنب من إعتقلهم الخومينى بلا ذنب .. فالقتل العشوائى فى الواقع جريمة بشعة ولا علاقة لها

بالاسلام فالاسلام يقرر أنه لا تزر وازرة وزر أخرى .. ولكن للأسف فالمذابح مستمرة بإسم الإسلام والإسلام منهم براء .

لكن المجموعة الأوروبية والمجموعة الأمريكية والعالمين فى الغرب ، كلهم يبحثون عن سبب ليربطوا بين الاسلام وبين أى مصيبة .

ويضحك الدكتور مصطفى محمود وهو يتابع حديثه :

والعجيب أن يخرج علينا صدام حسين هو الاخر ويرفع راية الإسلام .. ! شىء عجيب جدا ، ويجد من العرب ومن الإسلاميين فى السودان من يقف إلى جواره وتقف بجانبه جبهة الانقاذ .. أليس هذا شيئا عجيبا ..والنتيجة أن أصبح الإسلام محاصرا فى خندق الإتهام بسبب التآمر الأجنبى وبسبب بعض تصرفات أهله .. وهذا يفسر ما حدث فى الجمهوريات الروسية بعد سقوط الشيوعية ، وكيف ان الكنيسة والفاتيكان أسرع فى محاولة لملء هذا الفراغ .. رغم أن هذه جمهوريات إسلامية ..!

والأم تريزا ذهبت الى البانيا .. ويقولون : إن جيشا إيطاليا كاملا قد تحرك ووزع الفلوس والذى يغير إسمه تخرج له (فيزا) والذى يصر على أن يظل مسلما يفصل من وظيفته .. الخ . كلام كثير يقال عن هذه الهجمة .. ورحلة (البابا) الاخيرة الى افريقيا .. والقداس الذى

اقامه فى السنغال فى الإستاد الرياضى بعد ان وزع صلبانا من الذهب وردم هذه المنطقة الجائعة .. وهذه المنطقة ٩٨٪ منها مسلمون ومع ذلك ملأوا الإستاد الرياضى .. وهذا إخلاص من الرجل لعقيدته ولكن اين المسلمون .. ولماذا لا يظهرون الا عندما يرمون قنبلة أو يهاجمون سفارة .. الحقيقة ان هناك تقصيرا وتخلفا وإتجاهات إجرامية وإنحرافات فظيعة كان من نتيجتها ما نراه الان من أن الإسلام محاصر فى خندق ! ورسالته معطلة وغائب عن الصورة ..

وبعد ان يرسم الدكتور مصطفى محمود معالم الصورة للعالم الاسلامى المعاصر وما فيها من سلبيات ، يتحدث عمن يصورون مثل هذه السلوكيات بأنها من الاسلام السياسى ويقول :

والعجيب أنهم يربطون بين ذلك وبين السلام السياسى ويقولون إن هذا هو الإسلام السياسى .. إسلام سياسى كيف ؟ إنهم أناس لا يفهمون شيئا .

الاسلام السياسى يعنى الديمقراطية والشورى والعدالة وحقوق الانسان ، وكان يجب أن نكون أسبق فى كل هذه الامور من الغرب ، ونحن لا نكتفى بذلك بل نجد من يقول : إن الديمقراطية كفر !! مع أن الديمقراطية هى الأمل الوحيد للخروج من التخلف ومما فيه من مظالم .. ومن هنا يجب أن نعترف أن خصومنا أكثر تفتحا وتقدما

وديمقراطية من عصبة الأصوليين إياهم ..!

ومن الاشياء الغريبة أن جبهة الانقاذ فى الجزائر بعد أن فازت وأوشكت أن تصل الى الحكم بعد أن حصلت على الأغلبية المطلقة .. إذا بكل المساجد نجد أعضاء الجبهة يعتلون المنابر ويهاجمون الديمقراطية التى جاءوا على أكتافها !! كيف تكون الديمقراطية كفرا وهى التى أوشكت أن تأتى بهم الى الحكم . ويتساءل الدكتور مصطفى محمود عن هذا الفكر الغبى الذى كان من نتيجته أنهم أعطوا رقابهم للطرف الآخر .. هذا الطرف الذى رأى فيهم خطرا على الديمقراطية . التى جاءت بهم أوشكت أن تأتى بهم الى الحكم .. فكل هذا جهل .. وللأسف أن كل هذه الاسهامات الغبية أدت إلى تعطيل رسالة الاسلام تماما . وإلى إبعاد الغرس الاسلامى عن وجهته السليمة الى مجرد مغامرات ومؤامرات ومذابح وكلام فارغ فنحن الآن أمام محنة كبرى لا حل لها سوى ظهور كوادر إسلامية مستنيرة ..تولى رسالة المفهوم الكبير الذى يسمونه الإسلام السياسى .. الاسلام السياسى لا يعنى أبدا نسف طائرات وخطف طائرات ورهائن .. ولكن يعنى الحرية والديمقراطية والاخاء وحقوق الانسان .. والقيادات الاسلامية وخاصة الحكومات مطالبة بملء الفراغ الحاصل حاليا فى الجمهوريات الروسية الاسلامية وفى الاماكن التى سقطت فيها الشيوعية .

لابد ان تكون هناك كتائب من الدعاة يسارعون الى هذه الاماكن ، وكما ان البابا مخلص لمعتقداته فإننا يجب الا نكون أقل أخلاصا .. هذا إذا أردنا أن تكون لنا اسهامات فى التوازنات الدولية التى نتحدث عنها .

* قلت له : إن الديمقراطية يبدو أنها كلمة فضفاضة تستغل إستغلالا سيئا .. وتفسر حسب الأحوال .. فالديمقراطية التى أوشكت أن تأتى بجبهة الانقاذ الى الحكم .. أستغلت أيضا فى ضرب الديمقراطية بحجة أن جبهة الانقاذ ضد الديمقراطية .. أليست هذه التفسيرات تثير العديد من علامات الاستفهام حول إستغلال الديمقراطية ؟

أجاب الدكتور مصطفى محمود :

- هم الذين بدأوا بمهاجمة الديمقراطية .. وهم الذين أعطوا رقبتهم لغيرهم .. ولكن لا خلاف حول الديمقراطية .. فهى ترى أن الناس يصلون الى الحكم ليس عن طريق الدبابات ولا العسكر ولكن عن طريق الانتخاب .. وهى تعنى المشورة وعرض كل الأمور على الشعب .. فأى خلاف حول الديمقراطية .. نقطة الخلاف نقطة فرعية ، انهم فى الغرب وسعوا دائرة الديمقراطية حتى إنهم فى الغرب مثلا يمكن ان يعرض على البرلمان مثلا إباحة الشذوذ الجنسى ، وعندما يأخذ أغلبية يصبح شرعيا ، ولكن عندنا مثل هذه الأمور لا تطرح أصلا لأن هناك

شريعة ، ولا يمكن أن يعرض على البرلمان ما يتنافى مع الشريعة الاسلامية .. المهم أن نصل الى الديمقراطية ثم نضيف تحفظاتنا .. وهو أنه لا يجوز طرح ما يتنافى مع الشريعة على البرلمان ، وعندما نفوز بالديمقراطية من الممكن الحديث فى هذه التحفظات .

قلت : لننتقل الى قضية أخرى معاصرة وهى العلمانية فإذا كان دعاة العلمانية يدعون الى العلم ، فالاسلام نفسه هو أول ما يحث على العلم .. فما هو اذن الخلاف بين العلمانيين وغير العلمانيين ؟

قال الدكتور مصطفى محمود :

- الاسلام ليس ضد العلم ولكن هؤلاء العلمانيين يضمرون فى نفوسهم شيئا . فهم عندما يصلون الى الحكم يبدأون بتصفية الإسلاميين .. إنهم يعنون ذلك وكل كلامهم عن العلم .. والمسألة مسألة نية .. الاسلام على من رأسه الى رجليه .. ولا خلاف على مسألة العلم مطلقا .. انما الخلاف بما يخفى هؤلاء العلمانيون من خطط ونوايات لا تمت للعلم بصلة واذا صحت النوايا فنحن لسنا فى خلاف معهم نهائيا .

عجز العقل العربى ؟

قلت له : عندما ينظر الى مساحتنا الفكرية لا نجد عندنا نظرية فهل يعنى هذا عجز العقل العربى أن تكون له رؤية من خلال نظرية متكاملة ؟

- قال : أنا اختلف معك تماما .. لم يعجز العقل العربى وعندما تقرأ الكتب الأخيرة للشيخ محمد الغزالى والدكتور محمد عمارة ، والدكتور كمال أبو المجد .. سوف تخرج برؤية لا شك فيها .. كذلك عندما تقرأ للدكتور محمد شوقى الفنجرى .. فى الاقتصاد الاسلامى فأنت امام رؤية سياسية إقتصادية متكاملة . كذلك فيما يفسره الشيخ محمد متولى الشعراوى والأستاذ ياسين رشدى .

عيبنا أننا حينما نتكلم عن الاسلام أو عندما يتكلم أعداؤنا عن الاسلام لا يكون فى ذهنهم الا الجماعات الاسلامية المنحرفة المتعصبة الضالة .. ولماذا هؤلاء الناس ليس عندهم بضاعة سوى ترديدهم لقوله تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾ وبناء على ذلك يستبيحون دم الأخرين .. هذه كل بضاعتهم ولكن ليس هؤلاء هم الإسلام . نظلم الإسلام تماما إذا كان هؤلاء هم شواذه .. فأين كتب الغزالى وعماره ، ومالك بن نبى ، وغيرهم من المفكرين الاسلاميين .

الثقافة الاسلامية المستنيرة تملأ الساحة ولكن للأسف فهولاء الرواد لهم مكان على الورق ، وليس لهم مكان على الحوادث !

قلت : كان الفيلسوف المسلم محمد إقبال يسأل نفسه هذا السؤال . هل نستطيع أن نحتفظ بالاسلام من حيث هو نظام مثالى للاخلاق ، وأن نرفضه كنظام سياسى ، ونستعيض عنه بسياسة قومية

لا نفسح فيها مجالا للعامل الدينى ؟

وقد أجاب محمد إقبال على هذا التساؤل بقوله :

ليس الدين مجرد تجربة خاصة تجرى داخل المرء دون أن يكون لها تأثير فى محيطه الاجتماعى . ان الاسلام تجربة شخصية مفضية إلى قيام نظام اجتماعى تشتق فيه الأصول اللازمة لنظام سياسى .. لأن المثل الدينية فى الاسلام ، متصلة اتصالا وثيقا بالنظام الاجتماعى الذى إنبثقت منه . واذا كان قيام نظام سياسى على قواعد قومية صرفة ، من شأنه أن يزحزح مبادئ التضامن الاسلامى فهو أمر لا يمكن ان يتصوره مسلم .

– قال الدكتور مصطفى محمود : هذا هو الاسلام السياسى ولا خلاف عليه ، ولكن أنا أقول لا نأخذ الاسلام السياسى من أفواه الغوغاء ، ولكن خذه من أفواه هؤلاء المستنيرين .. وطبعا أنا لا أعنى المؤسسة الدينية التى توقف اتجاهها منذ أكثر من مائة سنة وما زالت منطقة عملها هى السلفية .. نقرأ للسلف ولا نزيد . لكن توقف الاجتهاد فى المؤسسة الدينية لم يمنع من ظهور الرواد الذين تكلمنا عنهم فالباحث عن التيار الاسلامى المستنير ، والرؤية الاسلامية المستنيرة سوف يراها على الرصيف موجوده فى الكتب لأصحاب أقلام لهم خبرتهم فى الكفاح ولن ننسى ان الشيخ محمد الغزالى (طالع) من الإخوان

وعاصرهم . فالرؤية الاسلامية موجودة ، ولكن العين تذهب الى الذين يرمون بالطوب والقنابل ! وهذا يدل على فكر الخصوم وأنهم يريدون أن يحصروا الإسلام فى خندق الارهاب ..

قلت لـه : هـل هنـاك تنـاقض بـين التفسير العلمى للقـرآن الكـريم وبـين التفسيـر البيانى ؟

- قال : إطلاقا ليس هناك أى خلاف ، وقد تعرض التفسير العلمى لإنكار وإستنكار .. وقد سلك بعضهم هذا اللون من التفسير الذى فرض نفسه فى النهاية وأصبحنا نجد قيادات لها وزنها كالشيخ الشعراوى يتحدث عن التفسير العلمى ويعتمد على المحصول الكبير للعلم كسند لتفسير الآيات الكونية للقرآن . والتفسير العلمى فرض نفسه على الساحة ليس كبديل للتفسير البيانى ولكن كمكمل .

عندما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **سنريهم آياتنا فى الافاق** ﴾.

ما هى الافاق الا عصر التكنولوجيا وعصر العلم الذى نعيشه .. الاشاره واضحة .

* ويعرج بنا الحوار حول التوحيد ، وكيف أن مصر قد عرفت التوحيد منذ أكثر من أثنى عشر ألفا وخمسمائة عام .. فكيف بدأ التوحيد ؟

يقول الدكتور مصطفى محمود :

- التوحيد عرفته مصر قبل إخناتون .. لقد بدأت الرسالات بأوزوريس (وهو النبى أدريس) عليه السلام الذى جاء الى مصر بالتوحيد .. وكان أول من علم المصريين الكتابة بالقلم وليس المخيط ومبادىء الفلك والتنجيم وضبط الفصول والزراعة والتقويم الشمسى ، وعلمهم ان هناك خالقا واحدا ، وأن من يموت منهم سوف يبعث ثم يقف بين يديه ليحاسب ثم يصير الى خلود فى نعيم أو فى عذاب حسب أعماله ، وكعادة الشعوب القديمة تحول أوزوريس بعد موته الى أسطورة وأصبح إلها ونسجت حول سيرته الملاحم والاغانى والاناشيد .

والمهندس سيد كريم فى كتابه المثير (عقيدة التوحيد) يرى أكثر من هذا .. انه يعتقد أن الآلهة أتوم .. وأوزوريس .. ونو .. هى ادم وأدريس ونوح .. فما قيل عن ادريس هو نفس ما قيل عن أوزوريس .. فأدريس فى التاريخ - كما قلت - هو الذى علم الناس الكتابة بالقلم ولبس المخيط ومبادىء الفلك والتنجيم وضبط الفصول والزراعة والتقويم الشمسى كما ان الاله (نو) قد وصف بأنه إله الماء والفيضان ومنقذ البشرية واتوم أو آدم هو أول من نزل الارض فى مبدأ الخلق وهو يقول أن أوزير قد يكون هو (عُزير) النبى الذى جاء ذكره فى القرآن وفى التوراة وهو الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه فكانت المعجزة التى تحولت

الى أسطورة ثم كالعادة تحول الى إله .

وللسيد كريم نظرية خاصة فى التعددية الواضحة فى الهة الفراعنة الذين بلغ عددهم فى إحصائية العالم (بروجش) الفين وثمانمائة إله .. إن هذا العدد فى الأصل ليس الهه ، وانما اسماء وصفات وأفعال للاله الواحد .. ويدلل على ذلك بأن كلمة إله فى الهيروغليفية (نتر) معناها اليد القوية فهى صفة وليست شخصا .

والدليل الآخر والأهم هو ما جاء فى وصف هذا الاله الخالق فى متون كتاب الموتى وفى بردية (تحوت) وفى بردية (ختى) وفى نشيد أخناتون ، ويرى الدكتور مصطفى محمود ان هذا التراث الدينى القديم منذ اثنتى عشر الف سنة لا يمكن ان يأتى من فراغ .

ومثل هذه النبرة الصافية للتوحيد الذى لا يشوبه شرك لا يمكن ان تخرج الا من مشكاة أنبياء نزلوا بمصر ، وساحوا فيها ينشدون هذه الانغام الملائكية ، ورسلا لا نعرفهم ولم يأت لهم ذكر فى الكتب السماوية .

ألم يقل الله لنبيه فى القران عن الرسل : ﴿ **منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك** ﴾ .

فأى غرابة فى هذا ؟

أو ليس التحريف والتبديل والتغيير هو آفة الكهنة فى كل زمان

ومكان ، وهم الذين حولوا هذا الركب من الرسل الى آلهة . ونسجوا حولها الاساطير وحولوا الاسماء والصفات الالهية الى أرباب بلا عدد ليكون لكل رب قرابين ومعابد وضرائب تجبى من السذج والبسطاء .. ثم كالعادة يدخل كل هذا الى جيب الكهنة . ثم جاء الفراعنة الذين سخروا الدين لأغراضهم السياسية ، وإستخدموه سلاحا للسلطة .. كما نرى حال الفرق التى تلعب لعبة السياسة والدين حولنا اليوم بهدف ركوب السلطة .

ويقول الدكتور مصطفى محمود :

هذا هو السر أن مصر احتضنت الاسلام بسرعة .

* لماذا ؟

- من أجل حكاية (للذى بين يديه)

فقد وجدوا (يصدق الذى بين يديه) .. وجدوا أخيرا كتابا مصدقا للذى بين أيديهم ويخلصهم من التعددية والذى يعلم المصريون أنها صناعة الفراعنة والكهنة .

* قلت له : تقول فى كتابك الأخير (عالم الاسرار) ان بكة فى اللغة المصرية القديمة هى (مكة) .. وان قبيلة بنو عبد مناف هؤلاء مهاجرين من منف .. ومثلهم قبائل جرهم الذين لجأت إليهم

أم إسماعيل .. فهل بكة هى مكة . وعبد مناف نسبه الى منف ، هل هذه حقائق تاريخية ام مجرد استنتاج ؟

- قال : نعم بكة كلمة هيروغليفية وكذلك (السابى) .. وهى الصائبة .. ام عبد مناف فهو اجتهاد .

* قلت له : من الملاحظ فى الأدب الصوفى انه ملىء بالغموض .. فما السر وراء هذا الغموض ؟

- قال : الغموض لابد منه سواء أكان تعبيرا عن التصوف السنى أو التصوف الفلسفى . لأن التصوف طموح جدا الى تأمل الاسرار الكونية ، ولأنه حالة من حالات القرب . ومن أجل ذلك فأنا أرى إنه بسبب هذا الغموض لا يحق لأى انسان ان يبحر فى هذه البحار الصعبة الا اذا كان على شىء من القرآن والسنة اللذين يحميان من الغرق وأنا أقول دائما ان قارب (ابن عربى) بالنسبة للمسلم الذى لا يفقه أمور دينه يمكن أن يتوه ولا يرجع ..فهى كتب خاصة جدا يقرؤها المسلم بعد أن يكون قد أصبح على دراية تامة بالسنة والشريعة .

والاناة .. كما يردد البعض مثل كلمات (أنا اله) (والله فى الجبة) .. هو كلام (لا يودى ولا يجيب) .

* قلت : التصوف هو طريق الخاصة وليس للناس عامة ، الا تتفق معى فى ذلك ؟

- قال : تماما .. ولا ينبغى أن يكون أول الطريق .. إنه دكتوراه .. وقبل الدكتوراه لابد أن تدخل المرحلة الابتدائية فالأعدادية فالثانوية ثم الجامعة .. فكل ذلك قبل ان تنال الدكتوراه ..

التصوف مثل الحلية (للتورتة) ..ولكن لابد أن توجد(التورتة) أولا .. ! .. فهو آخر حاجة .

* قلت له : هل الحقيقة تنافى الشريعة ؟ .

* قال : لا .. ليس هنا تناف اطلاقا بين الحقيقة والشريعة.. مثلا .. العبد الصالح فى القرآن ..عندما خرق سفينة .. وعندما قتل الصبى .. وظاهر الامر ان هذا ينافى الشريعة .. ولكن عندما نتأمل القضية نعرف انه كان هناك ملك يأخذ كل سفينة غصبا والذى حدث أن العبد الصالح لم يتلف السفينة تماما وهذا لا يتنافى مع الشريعة ..وقتل الولد العاق كان من شريعة هذا الزمان .. أن يقتل الولد العاق ..

والقرآن الكريم يوضح ألغاز ما فعله العبد الصالح بقوله :

« أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا إن يرهقهما طغيانا وكفرا » فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما ، وأما الجدار فكان لغلامين

يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ، وما فعلته عن أمرى ، ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا » .

فالمسألة كلها أمر .. ومردها فى النهاية الى الشرع الالهى .

ويضرب الدكتور مصطفى محمود مثلا آخر وهو يشرح أنه لا تعارض بين الشريعة والحقيقة يقول :

- حكاية سيدنا ابراهيم وابنه (انى أرى فى المنام انى أذبحك)

فشكلها ضد الشريعة .. هل يعقل أن يقتل أب إبنه من أجل رؤية رآها ؟ .. ولكن المسألة ليست مسألة أحلام كالتى نراها ، ولكنها أمر .. وأنه لم يذبحه ، ولكن المطلوب كان أن يذبح تعلقه الشديد .. فالابتلاء تعلق الاب بالابن الوحيد .. وعندما ضحى ابراهيم بهذا التعلق فى مقابل الأمر صدر الاعفاء .

اذن المقصود ليس ذبح الابن بل ذبح التعلق والا يكون فى قلب النبى شىء سوى الله .. فكل ما يقال من تناقض بين الحقيقة والشريعة تناقضات فى الظاهر للمتأمل السطحى .. لكن الغواص المدقق يرى ان الحقيقة والشريعة شىء واحد .

وقال الدكتور مصطفى محمود :

ولابد ان نفهم ان المسلم ليس مطالبا بالتصوف ..التصوف هو (السكر الزيادة) .. وغير مطلوب من المسلم ان يتحدث عن التصوف بل أن يكون مسلما .. المطلوب من المسلم يعيش القرآن والسنة بكل قلبه أولا قبل ان يكون متصوفا أو غير متصوف .

ولم يكن من الطبيعى أن ننهى حديثنا دون التحدث عن ظاهرة تحضير الأرواح التى تشيع الآن فى العالم ، وتأخذ طابعا علميا فى بعض الأحيان .. وهى أبحاث الباراسيكلوجى .. فهل تحضير الأرواح هذا وهم أم خرافة ؟

- يقول الدكتور مصطفى محمود :

تسمية هذه الأشياء بأنها تحضير أرواح تعسف لا يقوم عليه دليل ، والأصح ان يقال إنها قوى النفس الباطنة لم تكتشف ولم تعرف حقيقتها بعد .

« .. وفى أنفسكم أفلا تنظرون »

ولمن يقولون انها أرواحا ..! أقول لماذا لا تكون أرواح سفلية أو جنا .. أو أنت من داخلك ..!

ويمكن أن يكون الشيطان .. ولكن لا ضرر من هذه البحوث !

قلت : ما الحقيقة ما يقال ان هناك عمليات جراحية تجرى بواسطة الأرواح ؟

- قال : هذا كذب .. وقد كتبت قصة وهى قصة حقيقية عما إدعاه البعض أنه أجريت له مثل هذا النوع من العمليات فى (الفليبين) .. وقد أخذت هولاء بنفسى للدكتور رشدى البدراوى وقد اتضح ان كل هذه الادعادت كذب .

ساعات طويلة أخذتها من وقت الدكتور مصطفى محمود .. تعرضنا للعديد من القضايا المعاصرة .. التى تهم كل الناس .. حتى يكون الناس على بينة مما يدور سواء على الساحة الإسلامية أو العالمية .. وفى أجواء رمضان الروحانية تداعت إلى خاطرى .. كلمات مصطفى محمود .

فها نحن أولاء فى نهاية المطاف لا نملك من أنفسنا إلا الندم والله بكرمه هو الفاعل لكل أفعالنا الكريمة .. ثم هو يشكرنا عليها ويكافئنا بالجنة على أفعال هو صانعها .. فهل بعد ذلك من كرم .. وهل بعد ذلك من حب ؟

يقول ربنا فى حديث قدسى :

يا عبد خلقت كل الأشياء لك وخلقتك لى فلا تنشغل بما هو لك عمن أنت له .

وفي المواقف والمخاطبات .

يا عبد كل شيء لي فلا تنازعني مالي

يا عبد أجبت كل ما يدعوك ولا تجيبني

يا عبد غرت عليك فنهيتك

يا عبد لا أكون أنا المنتهى حتى تراني من وراء كل شيء

يا عبد لا تسكر بسواي تكن عارفا

يا عبد ليس بيني وبينك بين

ليس بيني وبينك أنت

فأنظر إلى فإني أحب أن أنظر اليك

يا عبد أهدم ما بنيته بيدك قبل أن أهدمه بيدي

يا عبد ميعاد ما بينك وبين أهل الدنيا أن تزول الدنيا فترى أين أنت وأين أهل الدنيا .

يا عبد نم وأنت تراني أتوفك وأنت تراني .. تستيقظ وأنت تراني .. أحشرك وأنت تراني تموت يا عبد ولا يموت ذكرى لك .

يوم الموت يوم العرس يوم الخلود يوم الأنس

يا عبد لولا صمودي ما صمدت ، ولولا دوامي ما دمت .

يا عبد الأطراق عبور الدنيا والآخرة .. والنظر حبس الدنيا والآخرة .. والمتلفت لا صلح لى ولا يصلح لمسامرتى .

يا عبد قل فى ندم

ربى الناظر إلى فكيف أنظر إلى ما سواه

يا عبد اذا تخففت بسرك لعلمت بأنك منى وأنك تلينى وكل شىء فى الوجود يأتى بعدك .. لا شىء يقدر عليك اذا عرفت مقامك ولزمت مقامك ..فأنت أقوى من الأرض والسماء .. أقوى من الجن والنار .. أقوى من الحروف والأسماء .. أقوى من كل ما بدا فى دنيا آخره .. ولا مستقر لك إلا عندى حيث لا حيث وعند لا عند .

وبهذه الترنيمة الرائعة لعبد الجبار النفرى كان لابد أن أضع نهاية لحديثى . الذى يختتمه الدكتور مصطفى محمود قائلا :

أتمنى ان يخرج الإسلام من الفتن .. فتن الجماعات المنحرفة .. ومحترفى القتل التى أساءت الى الإسلام إساءات رهيبة جدا .. ودعوة للمؤسسة الدينية أن يكون لها إسهامها فى التجديد والتحديث والاجتهاد .

وينتهى الحوار ولا ينتهى عطاء كاتبنا الكبير .

* * *

الفصل الثامن

الشيطان يسكن بيتنا وسونيا والرجل الصوفي !



الحديث عن الدكتور مصطفى محمود الأديب والفنان يجعلنا نقوم برحلة داخل ما قدمه من إبداع فنى سواء ما قدمه فى مجال القصة أو المسرحية .. حيث نرى أنفسنا أمام فنان يعرف قيمة الكلمة .. وما يمكن أن تؤدى هذه الكلمة من رد عملي .. فالأدب عنده ليس تلاعبا بالألفاظ ، أو الجرى وراء الموضوعات الأدبية .. ولكن الأدب عنده رسالة ، ويمكننا أن نمسك الخيط الذى يربط إنتاجه الأدبى ..

الفرق بين المسرح والعمل الروائى هو موضوع الصراع .. وهو واضح فى مسرحية « الاسكندر الأكبر » ويتمثل الصراع فيها بين البطل الطاغية الدكتاتور وبين جيشه .. وفى (الزلزال) صراع الأفكار واضح بين الفكر الرأسمالى والفكر الشيوعى .. والزلزال الاجتماعى نتاج صراع الأجيال وصراع الأفكار .

وفى (الانسان والظل) يجرى الصراع فى داخل نفس القاضى ، فهو صراع بين النفس والنفس .. بين الممكن والمثالى ..

وسواء اتخذ الدكتور مصطفى محمود المسرح مادة تاريخية أو مادة واقعية أو مادة ذهنية .. فالصفة المشتركة هى صفة الصراع .

فى مسرحية (الطوفان) يجرى الصراع بين مذاهب ونظم سياسية،

ويجرى بين الدول الكبرى بعضها مع البعض الاخر ، ثم يجرى بينها كدول كبرى وبين الدول المتخلفة ، ثم يتصاعد سباق زمنى إلى ما يشبه النهاية أو القيامة ..

فى رواية (الشيطان يسكن بيتنا) يجرى الصراع بين الخير والشر ممثلا فى (سونيا والرجل الصوفى) .. ولكن نرى فى نفس الوقت أن هذا الصراع يجرى على المجتمع كله ويعرض الخريطة السياسية فى شكل محاولات مستمرة للافساد تقوم بها الدول الكبرى للسيطرة على الدول المتخلفة .. كما نرى هذا الصراع يجرى على مساحة الشاشة الصغيرة أو الشاشة الكبيرة للسينما .. أو بطول الفن كله .. هبوطا وصعودا بين الفن الرخيص والفن الراقى ..

قلت للدكتور مصطفى محمود : هل عندما تكتب فى الأدب تجعله موظفا فى خدمة القيم الأخلاقية ؟ قال : عندما أكتب يصبح الفن والجمال هدفا ، ولكن اذا كانت بعض الكتب (كنقطة الغليان) جاءت تعبر عن أهمية القيم .. فواضح أنه كتاب أخلاقى .. وربما لأننى كنت أمر بتجارب هائلة فى هذه المرحلة .. عشت أخطاء .. وعانيت معاناة كثيرة .. أحسست أنها سوف تظهر رغما عنى فى كل ما أكتب .. فهذا الكتاب يعكس فعلا المعاناة التى مررت بها ، بعكس المراحل من القصة التى كنت أكتبها بشكلها المحايد جدا كمجموعة (أكل عيش) أو

(عنبر ٧) .. فهى تحتل مراحل فى حياتى ومعاناتى الشخصية .. ومرتبطة تماما بالحياة كما أعيشها ..

* * *

- ما رأيك فى أزمة النقد المعاصرة ؟

- لا أستطيع الحكم لأن هذا يحتاج إحاطة بكل ما ينتج الشباب .. فلا أستطيع أن أقول أن هناك أزمة إنتاج .. فلا يقول هذا إلا الذى يقرأ كل ما يخرج من إنتاج أدبى - حتى البروفات ..

ولكن هناك مواهب فى إنتاج الشبان .. ولا يمكن أن اظلمه أبدا .. ولا يمكن أن أتصور أن مصر تعقم .. وليس بها أشجار تنبت الورود أو الثمر .. فأنا لا أشك أن هناك مواهب فى الشباب ، وليس هناك عقم .. جائز أن يكون الشباب فى مراحل تكوين .. جائز يكون أقل .. لكن المواهب موجودة وواعدة .. ومع العكوف التام تنضج هذه المواهب .. والصوفية يقولون لابد من دفن البذرة حتى تعطى ..

فاذا كان هناك تسرع للوصول فلن يخرج من الشباب شىء .. لابد أن يدفن فترة حتى ينضج ويقدم شيئا ذا بال .. والمشكلة أن بعض الشباب يتعجل الشهرة .. وهذا شىء غير ممكن .. ولكن هناك نوعيات عندها صبر ودأب .

ومسألة النقد كانت أزمة على ايامنا . عندما كان عبد العظيم أنيس ومحمود أمين العالم يصنفان الأدباء ويهدموهم .. وأحس الأدباء أنهم سوف يدفنون لو لم يسيروا فى السكة إياها .. (بتاعت) اليسار ، فقد حدثت موجة تشيد إشادة غير معقولة بأديب لمجرد أنه يسارى .. ويكتب عنه .. ويترجم أعماله إلى الروسية .. ويدعى إلى موسكو .. فنتج عن ذلك نوع من الخلل فى التقييمات . إشادة هائلة بأديب لا لشىء إلا أنه ينتمى إلى اليسار ..

فى أيامنا كان هذا نوع الأزمة . وقد أخذت هذه الأزمة وقتها وانحسرت فعلا .. وانتهت موجة اليسار ، وأعتقد أن اليسار سقط بالفعل داخل روسيا نفسها .. ولكن أن يغنى دراويشنا هنا .. فهم أحرار .. لكن لم يسمعهم أحد وهم لا يعبرون عن مصر .. ولا حتى عن الأدب بأنواعه .. لأن الأدب الآن .. وأدب الشباب ليس ماركسيا على أى حال .. أنه أنواع .. جائز نرى النوع العبثى والنوع التجريدى .. أو أى نوع يخطر على البال .. ولكن ليس هناك أدب ماركسى .

النقد يحتاج في تقييمه إلى نقاد متابعين .

قلت : هناك الأدب الصوفى .. برموزه .. واشاراته .. هل يمكن لأى ناقد أن يفسر مثل هذا اللون من الأدب ؟

قال:

- لا يفهمه إلا صوفى من أهل المواجيد .. لأنه ليس أدبا يعتمد على زخرف القول .. فلو قرأت ابن عربى ، أو ابن عبد الجبار النفرى .. ستجد نفسك أمام أشياء جديدة تماما فى العبارة .. هناك معان لو لم تكن داخلا فى هذه (السكة) تغيب عنك .

وهناك كاتب لبنانى كتب كثيرا عن النفرى .. نسيت اسمه .. كتب كثيرا عن النفرى ..

- تقصد أدونيس ؟

- بالضبط لقد أعتبر النفرى عبقرية أدبية .. وهذا خطأ كبير .. وعزله عن فكرة الله سبحانه وتعالى .. انه مفتون بالنفرى .. ولكن للأسف انه يأخذ وجهة نظره من وجهة نظر أديب مجرد .. ولكنه عرف .. انه يتحدث عن الله .. وليس حديثا عن جماليات رواية سيأخذ عليها جائزة نوبل .. لا .. أنه يتحدث عن الله .. وبذلك فهو غير موفق على الاطلاق فى نقده ..

و .. لندخل إلى عالم الدكتور مصطفى محمود فى أدبه الصوفى وهو يتجول بنا فى هذا العالم الفسيح الرحب .. وأدب الروح - إن صح التعبير .. إنه يقول :

ليس هناك انسان لم يتوقف يوما أثناء عمره الطويل ليسأل نفسه .. من أين وإلى أين وما الحكاية ، وماذا بعد الموت .. أينتهى كل شىء إلى تراب ..أيكون عبثا وهزلا .. أم أنها قصة سوف تتعدد فصولا .. أكان لنا وجود قبل الميلاد .. وماذا كنت قبل ان أولد .. ومن أنا على التحقيق .. وما حكمة وجودى .. وهل أنا وحدى فى هذه الغربة الوجودية .. أو أن هناك من يرانى ويرعانى ويعتنى بأمرى ..؟

وليس انسانا من لم يحاول ان يحل هذه الالغاز ويجيب عن تلك التساؤلات ويقرأ بكل قلبه ويستمع بكل أشواقه إلى من يقول عندى جواب .. فالمسألة ليست ترفا فلسفيا كما يدعى الماديون وانما هى كل شىء .. وسوف يتوقف عليها كل شىء .. واذا كان أصحابنا الماديون قد شغلوا أنفسهم باللقمة والنكاح ولذة الساعة عن هذا السؤال العظيم فما أبعدهم عن الانسانية .. وياله من أمر محزن أن نسمع الواحد منهم يلوى وجهه ليقول مشيحا بيده : هذه مسائل غير مطروحة .. مرددا بذلك شعارا محفوظا قد وزعوه عليه فى الحزب حيث جعلوا التفكير أمرا محظورا ليظل الكل عبيد اللقمة .. يقودونهم بالجوع ويدفعونهم بالحقد ويحركونهم بالاهواء قطعانا من البهم لا ترى الا على مدى شبر أمامها .. وما أبعد هذه الصورة المشوهة عن الصورة الأخرى للفطرة النقية التى عبر عنها ذلك البدوى البسيط .. الذى وقف يتلفت حوله

فى الصحراء .. ينقل بصره بين السماوات والأرض ويحدث نفسه وهو يتتبع أثار بعيره على الرمل ..

ان البعرة تدل على البعير .. والأثر يدل على المسير .. أفلا تدل سماوات ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج على مبدع لطيف خبير ..

هذه نظرية نقية شفافة الهواء الطلق ، أدركت الحكمة والنظام من نظرة واحدة ، فأنكرت العبث وهدت صاحبها إلى الحقيقة ، وهنا فطرة سودتها المداخن وأصمها ضجيج المكن .. وألهبها عواء الغرائز فاستغرقتها المطالب العاجلة وأنساها وراءه كل شىء ..

- إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا .. و .. نمضى مع الدكتور مصطفى محمود فى حديثه الشائق عن عالم الاسرار .. يسوق لنا أبياتا لابن عربى مثلا .. والتى يقول فيها :

كل ما أذكره من طلل

أو ربوع أو مغان كل ما

وإذا السحب اذا قلت بكت

وكذا الزهر اذا ما ابتسما

أو بدور فى خدور أفلت

أو شموس أو بنات أنجما

أو بروق أو رعود أو صبا

أو رياح أو جنوب أوسما

أو نساء كاعبات نهد

طالعات كشموس أو دمى

كل ما أذكره مما جرى

ذكره أو مثله ان تفهما

منه أسرار وأنوار جلت

أو علت جاء بها رب السما

صفة قدسية علوية

أعلنت ان لصدقى قدما

فأصرف الخاطر عن ظاهرها

وأطلب الباطن حتى تعلما

مثل هذا الشعر كيف نفهمه .. وهو مليء بالاشارات والرموز .. هل من خلال الوعاء اللغوى ؟

يقول الدكتور مصطفى محمود مفسرا ذلك :

- الصوفى العارف لا يرى حيث توجه إلا الله .. « فأينما تولوا فثم وجه الله » ..

فكل ما فى الدنيا تجلياته وتنزلات أسمائه الحسنى وصفاته .. كل يظاهر الكون رموز من حيث تشير إلى الحقائق الالهية والتجليات السمائية ، فما ثم شىء عادى وانما كل شىء فى الصوفى يدعو الى الدهشة .. والوجود كله عجب لأن كل ما يبدو له يحدث عنده ذكره ويكشف حكمة ويجلو أمرا .. وهو أينما تلفت يقول مبهورا .. الله .. الله .. وليس فى الأمر مجاز أو تشبيه ، وإنما كشف روحى نورانى ..

ويضرب الدكتور مصطفى محمود أمثلة .. العشق للذات الإلهية والحب الأسمى . وهذه الخمر الذى يشعر بها العارفون .. فيبلغ ذلك قمة الصفاء والشفافية .. فابن الفارض يقول :

يقولون لى صفها فأنت بوصفها

خبير .. أجل عندى بأوصافها علم

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا

ونور ولا نار وروح ولا جسم

تقدم كل الكائنات حديثها

قديما ولا شكل هناك ولا رسم

وقامت بها الأشياء ثم لحكمة

بها احتجبت عن كل من لا له مهم

يقول الدكتور مصطفى محمود : والله ظاهر من حيث المظاهر ، باطن من حيث الهوية ، ولكنه لا يتغير ولا تتكثر مع تلك المظاهر ، فإنه يظل الحق تعالى غيبا فيما ظهر من الصور فى الوجود ، فنسبتنا منه نسبة الصفاء والأسماء ، أما الذات فخفاء مطلق ولا يظهر فى مرآة الظواهر سوى الحكم العين لا العين (أى تظهر صفات وأسماء ولكن الذات تظل أبدا لا تظهر ولا تتغير ولا تتكثر) .. وإنما تظهرالصفات فى أعين الممكنات على قدر إستعدادها ، فما نرى من تكثر وتنوع هى أحكام ونسب للصفات والأسماء الالهية ..

وقد أتاحت هذه النظرة لابن عربى نفى التجزئة عن الحق تعالى لأن الله لا يعطى من ذاته فى هذه التجليات شيئا ، كما أن الشمس لا تعطى من ذاتها شيئا للقمر حين تتجلى بنورها فيه ..

ولعل من أروع وأجمل ما فى الأدب الصوفى هو التغنى بحب الله .. أن يرتفع الانسان عن هذا المستوى المألوف إلى حب أسمى وأخلد وأعمق ، حب الذات الالهية .. حيث نستمع إلى هذا الشعر الشفاف الممتع الذى تمثل فيما قرأناه من شعر رابعة العدوية ، وإبن عربى ، وإبن الفارض وغيرهم من شعراء الصوفية فى كل العصور ..

ويعبر الدكتور مصطفى محمود عن هذا المستوى الرفيع من الحب ويقارنه بالحب الآخر فيقول :

- الحب هو الصنم المعبود فى هذا الزمان .. هو اللات والعزى وهبل فى جاهلية هذا العصر . نذبح له القرابين من دم الشباب ووقته ووعيه ونحرق بخورا فى هذا المحراب الضبابى . وهو تجارة أصحاب الجيوب ومضيعة أصحاب القلوب .. وهو من أخطر المفاهيم التى زيفها العصر فعرضته وسائل الاعلام مشوها .. لا يكاد يخرج عن مراودات بين أنثى وذكر وتأوهات تحت ملاءة ، ومحاولات رجل لاصطياد زوجة رجل آخر .. لا يشغل بال المؤلف طول الوقت إلا كيف يصل إلى الفراش ، ولا يشغل بال المخرج إلا كيف يعرى جسد بطلاته ..

وفى أوروبا تجاوزوا ذلك إلى عرض الأعضاء التناسلية عارية فى أفلامهم ثم عادوا فتجاوزوا ذلك إلى عرض الجنس عيانا .. ثم عادوا فتجاوزوا هذه العلاقة الشاذة بين الرجل والرجل وبين المرأة والمرأة .. ثم عادوا فتجاوزوا هذا إلى بشاعات حسية مثل علاقة امرأة بكلب أو علاقة رجل بخنزير .. ووراء هذا أموال تنفق لافساد العالم وأصابع سياسية مريبة تعمل .. وكل هذا يجرى باسم الحب والفن والحرية والتجديد ..

ونحن من ورائهم نقلد فى غباء أيضا .. وباسم الحب والفن والحرية

والتجديد .. وحقيقة الأمر أن ما يجرى هو ظاهرة تخلف عندنا .. وتخلف عندهم .. وإرتداد للانسانية عامة إلى حيوانية وجاهلية مادية حسية أحط من جاهلية قريش لأنها هذه المرة جاهلية مسلحة بوسائل اعلام وأدوات إنتشار الكترونية علمية تنشر الأوبئة الخلقية بأسرع من سرعة الضوء ..

و.. ما أحوجنا وأحوج العالم إلى الاستماع إلى ذلك الصوت الهامس العميق الحميم . صوت الصوفيين الأطهار حينما يصفون لنا حقيقة الحب ويحملوننا على أجنحتهم لتفهم أعماق الحب وماهيته ومنبعه ..

ويرى الدكتور مصطفى محمود أن أعلى ألوان الحب .. هو الحب الالهى الذى يتوجه الشوق فيه إلى أصل كل شىء وصورة جميع الصور : الله تبارك وتعالى .

* * *

ومصطفى محمود وهو يعرض لنا بحار الصوفية وأدب الصوفية يحذر من التهتك الصوفى .. فهو يقول :

- الحقيقة أن التراث الصوفى بحر عميق فيه اللآلىء والأصداف ، ولكن فيه أيضا التماسيح والحيتان .. فيه جزائر المرجان وفيه

المتاهات المهلكة التى لا يعود منها الملاح ..

والقـراءة فـي التصـوف أشبـه بالملاحة فى بحر الظلمات بقارب شراعى .. وما أكثر ما تنكسر الدفة ويتحطم المجداف ويفقد السالك إتجاهه ، والنور الوحيد الهادى السالك فى هذا البحر هو نـور الكتاب والسنـة .. وبدون الشريعة لا يمكن أن يصل السالك إلى بر الأمان ..

الشريعة دفة الملاح فى هذا البحر .. وهى دليله على ما يأخذ وما يدع .. فما وافق الشريعة من لغة القوم وعلومهم يأخذ .. وما خالف الشريعة يتركه غير نادم ..

و.. ما أعمق وأمتع عالم الدكتور مصطفى محمود .. إنه عالم ثرى وخصب .. فهو أشبه بالملاح الذى يعبر ويبحر عبر المحيطات يريد أن يعرف ويعرف ويعرف .. ولكنه فى رحلاته الفكرية والأدبية كان دائما متسلحا بسلاح العلم والمعرفة .. انه ينشر دائما الوصول إلى واحة المعرفة مهما كانت أشواك الطريق ، نرى فيه جسارة الملاح ، وإرادة المفكر ، وطموحات العالِم ، ورغبة الباحث عن الحقيقة .. انه الدكتور مصطفى محمود .

* * *

الفصل التاسع

أمواج متلاطمة للوصول إلى شاطىء آمن !



كان الهدف من هذه الدراسة أن أشير مجرد أصبع من بعيد الى أديب مفكر فنان ، جاء الى الحياة لترتسم فى ذهنه العديد من علامات الاستفهام حول الكون والحياة وما وراء الحياة ، انسان يريد أن يستشف معنى الحياة .. وهدف الوجود .. درس .. وتأمل .. ورأى .. وبحث .. وطاف .. وكان كل ذلك مقدمات للوصول الى الحقيقة .. أو محاولة الوصول الى الحقيقة . وهو فى محاولته الوصول الى الحقيقة ، تزود بكل الوسائل التى تساعده على تحقيق هدفه ..

درس الطب وعرف الحدود التى يمكن أن يعرف فيها والذى يقف أمامها عاجزا تماما أمام طلاسم الجسم الانسانى .. قرأ الفلسفة التى تبدأ بعلامات إستفهام وتنتهى أيضا بعلامات إستفهام تعمق التصرف .. وعلم أنه ذلك النور الذى يقذفه الله فى القلب . .. فيرى الصوفى ما لا يراه الآخرون ، ويحس بما لا يحسون .. ومع ذلك .. فللتصوف محاذيره ..

تذوق الفنون وما فيها من قدرة على أن تمد الفنان برؤى جديدة من خلالها تشف النفس .. وتهفو الروح الى الأحساس بما فى الحياة من قيم الجمال . ركب زورقا يجوب به خضم أمواج متلاطمة للوصول الى

شاطىء آمن ، وكان هو الملاح الماهر الذى أعد نفسه لمخاطر رحلة فى حاجة الى معرفة بالجغرافيا وأسرار البحار .. ومعه البوصلة التى توجه خطاه ..

ومن حصيلة كل هذه الخبرة .. رأى أن الإلحاد جهل .. والإيمان هو نور الوجود .. وهو البوصلة التى تحدد إتجاه الملاح ..

وأن أعظم متعة .. ليست متعة الجسد ، ولكن متعة الروح .. ومتعة الروح تتحقق عندما يسمو الانسان فوق الماديات ، ويرتفع إلى حب أسمى وأرفع .. حب الله ..

وتعال نتوقف معا أمام هذا الدعاء العميق للدكتور مصطفى محمود .. والذى يضع خطا أو خطوطا .. أمام نفس ظامئة إلى حب الله .. نفس أسلمت قيادها لربها .. أنه يقول :

- مولاى .. يقولون إن أكبر الخطايا هى خطايا العارفين ..

ولكنى اسألك يارب أين العارف أو الجاهل الذى إستطاع أن يسلم من الفتنة دون رحمة منك .. وأنت الذى سويت نفوسنا وخلقتنا ووصفتنا بأنها أمارة بالسوء إلا من رحم ربى ..

وأين من له الحول والقوة بدونك ..وهذا جبريل يقول لبيك لا حول من معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بتمكين الله ..

وهل استعصم الذين استعصموا إلا بعصمتك .. وهل تاب الذين

تابوا إلا بتوبتك .. وهل استغفروا إلا بمغفرتك ..

آلهى .. لقد تنفست أول ما تنفست بك ونطقت بك وسمعت بك وأبصرت بك ومشيت وأهتديت بك .. وضللت حينما ضللت عندما خرجت عن أمرك .

سألتك يارب بعبودتى أن ترفع عنى غضبك .. فهأنذا وقد خلعت عن نفسى كل الدعاوى وتبرأت من كل حول وطول ولبست ثوب الذل فى رحاب قدرتك .

إنك لن تضيعنى وأنا عبدك ..

لن تضيع عبدا ذل لربوبيتك وخشع لجلالك ..

وكيف يضيع عبد عند مولى رحيم إذا كان هذا المولى هو أرحم الراحمين ..

رب أجذبنى اليك بحبلك الممدود لأخرج من ظلمتى إلى نورك ، ومن عدميتى إلى وجودك ، ومن تفرقى إلى جمعيتك ، ومن هوانى إلى عزتك .. فأنت العزيز حقا .. الذى لن تضرك ذنوبى ولن تنفعك حسناتى ..

أن كل ذنوبنا يارب لن تنقص من ملكك ..

وكل حسناتنا لن تزيد من سلطانك ..

فأنت أنت المتعال على كل ما خلقت ، المستغنى عن كل ما صنعت ..

وأنت القائل :

هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى ..

وأنت القائل على لسان نبيك :

ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم ..

فهأنذا أدعوك فلا أكف عن الدعاء .. فأنا المحتاج .

أنا المشكلة .. وأنا المسألة ..

أنا العدم وأنت الوجود فلا تضيعنى .

عاونى يارب على أن أتخطى نفسى إلى نفسى .. أتخطى نفسى الأمارة الطامعة .

الأمارة الطامعة فى حيازة الدنيا .. إلى نفسى الطامعة فيك فى جوارك ورحمتك ونورك .. ووجهك ..

لقد جربت حيازة كل شئ فما إزددت إلا فقرا ، وكلما طاوعت رغائبى ، إزددت جوعا وإلحاحا وتنوعا ..

حينما طاوعت شهواتى إلى المال إزددت بالغنى طمعا وحرصا ، وحينما طاوعت شهوتى إلى النساء إزددت بالإشباع عطشا وتطلعا إلى التلوين والتغيير .. وكأنما أشرب من ماء مالح فأزداد على الشرب ظمأ على ظمأ ..

وما حسبته حرية كان عبودية وخضوعا للحيوان المختفى تحت جلدى ثم هبوطا إلى درك الآلية المادية وإلى سجن الضرورات وظلمة الحشوة الطينية وغلظتها ..

كنت أسقط وأنا أحسب أنى أحلق وأرفرف ..

وخدعنى شيطانى حينما غلف هذه الرغبات بالشعر وذوقها بالخيال الكاذب وزينها بالعطور وزفها فى أبهة الكلمات وبخور العواطف . ولكن صحوة الندم كانت توقظنى المرة بعد المرة على اللا شىء والخواء ..

إلهى .. لم تعد الدنيا ولا نفسى الطامعة فى الدنيا .. ولا العلوم التى تسخر لى هذه الدنيا ، ولا الكلمات التى أحتال بها على هذه الدنيا .. مرادى ولا بضاعتى ..

وإنما أنت وحدك مرادى ومقصودى ومطلوبى ، فعاونى بك عليك ، وخلصنى بك من سواك وطهرنى بنورك من عبوديتى لغيرك ، فكل طلب لغيرك خسار ..

أنت أنت وحدك .. وما إرتضى مشوار هذه الدنيا إلا لدلالة هذا المشوار عليك ، وما يبهرنى الجمال إلا لصدوره عنك .. وما أقصد الخير ولا العدل ولا الحرية ولا الحق إلا لأنها تجليات وأحكام أسمائك الحسنى يا من تسميت بأنك الحق ..

ولكن تلك هجرة لا أقدر عليها بدونك ، ونظرة لا أقوى عليها بغير معونتك .. فعاونى وأشدد أزرى .. فحسبى النية والتوجه والمبادرة فذاك جهد الفقير .. فليس أفقر منى .. وهل بعد العدم فقر .. وقد جئت إلى الدنيا معدما وأخرج منها معدما .. زادى منك وقوتى منك ورؤيتى منك ونورى منك ..

واليوم جاءت الهجرة الكبرى التى أعبر فيها بحار الدنيا دون أن أبتل ، وأخوض نارها دون أن أحترق .. فكيف السبيل إلى ذلك دون يدك مضمومة إلى يدى .

وهل يدى إلا من صنع يدك ؟ .. وهل يدى إلا من يدك ؟

وهل هناك إلا يد واحدة ؟

لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ..

سبحانك لا أرى لى يدا

سبحانك لا أرى سواك

لاإله إلا الله

لا إله إلا الله حقا وصدقا

وذاتك هى واحدة الحسن

الحسن كله منها

والحب كله لها ..

ويدك هى واحدة المشيئة

الفضل كله منها ، والقوة كلها بها .. وإن تعددت الأيدى فى الظاهر وظن الظانون تعدد المشيئات .. وإن تعدد المحبون وتعددت المحبوبات وظن كل واحد أنه يقبل يد محبوبته .. فما يقبل الكل الا يدك دون أن يدروا ..سبحانك لا سواك .. ما يركع الكل إلا على بابك .. وما يلثم الكل إلا أعتابك .. مؤمنون وكفرة .. وأن ظن الكافر أنه يلثم دينارا أو يقبل شفة أو خدا ، فأنما هى أيادى رحمتك ، أو أيادى لعنتك ، هى ما يلثم ويقبل دون أن يدرى ..

وإنما هى أسماء وأفعال وأوصاف

والمسمى واحد

والفاعل واحد

والموصوف واحد

لا إله إلا الله ، لا إله إلا هو الحمد له فى الأول والآخر رفعت الأقلام وطويت الصحف وإنتهت الكلمات ..

* * *



الفهـــرس

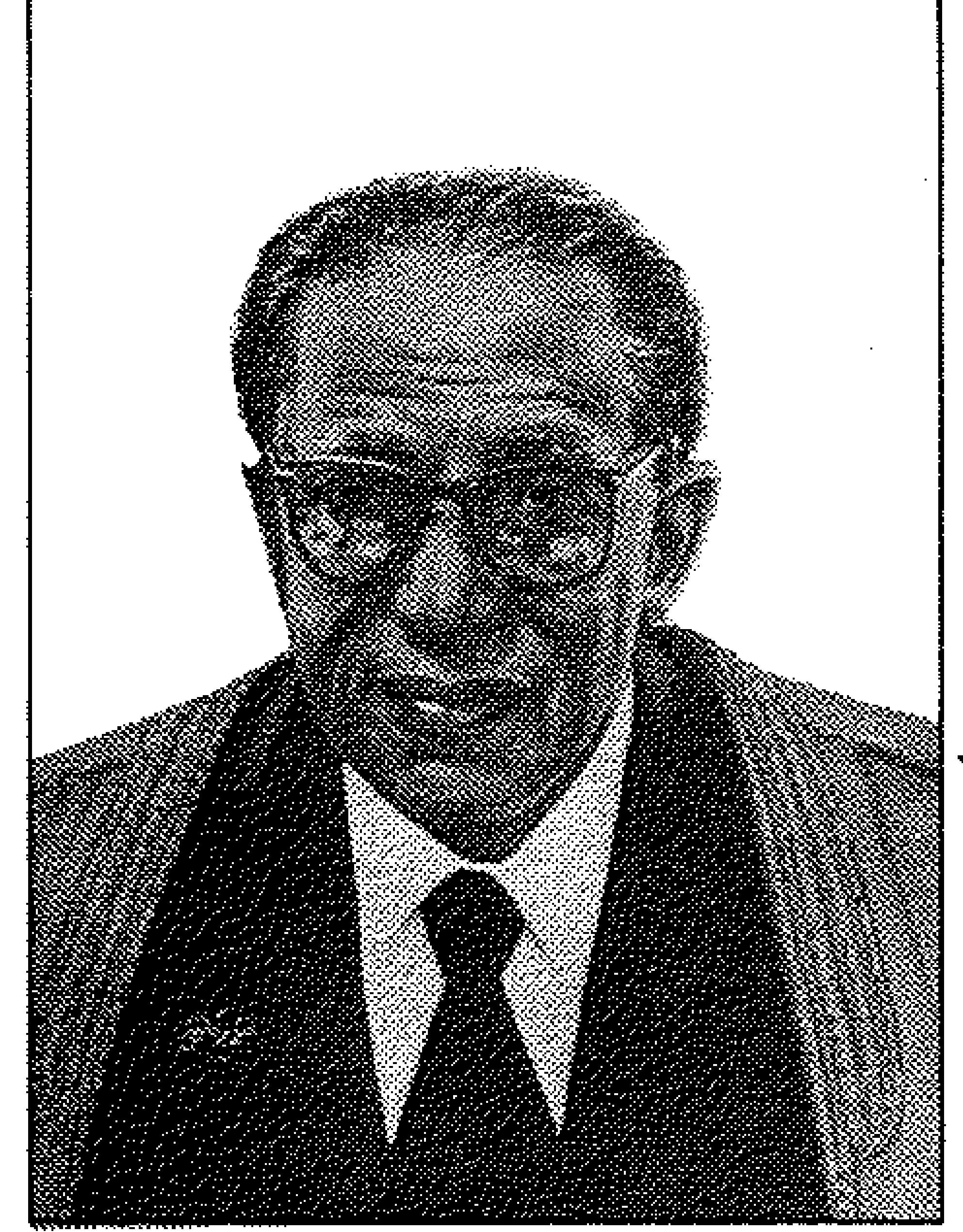
الموضـــــــوع	الصفحـة

دار سلمى
نشر • توزيع
القاهرة : ٩٩ ش رمسيس

رقم الإيداع ٩٢٦٨/ ١٩٩٦


مطابع
ت ٩٣٢٧٠٦

مصطفى محمود
حياتى وفكرى
أرائى ومواقفى



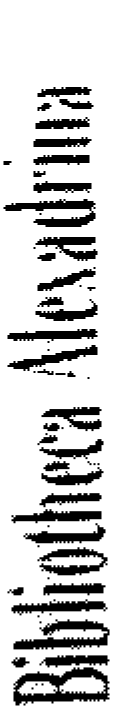
أخطر أنواع التلوث فى هذا العصر هو التلوث الخلقى بما استحدث الإنسان من وسائل إعلامية تدخل على الإنسان غرفة نومه وتزاحم العائلة على مائدة العشاء مثل التليفزيون والراديو الترانزستور بحجم الكف الذى يأخذه النائم فى حضنه .. ومن خلال هذه الوسائل الحميمة أصبح فى إمكاننا أن نقدم للناس مانريد وأصبح فى الإمكان أن نروج للباطل وننشر الأكاذيب .. وأصبح فى الإمكان أن ندعو للشهوات عياناً بياناً بما نغنيه على أسماع الناس ليل نهار من كلمات عارية وما نعرضه على أعينهم من مغازلات فيتربى الصغار على أن هذا هو الأمر الواقع .. فينتهى الحياء وبانتهاء الحياء تبدأ دولة القرود ..

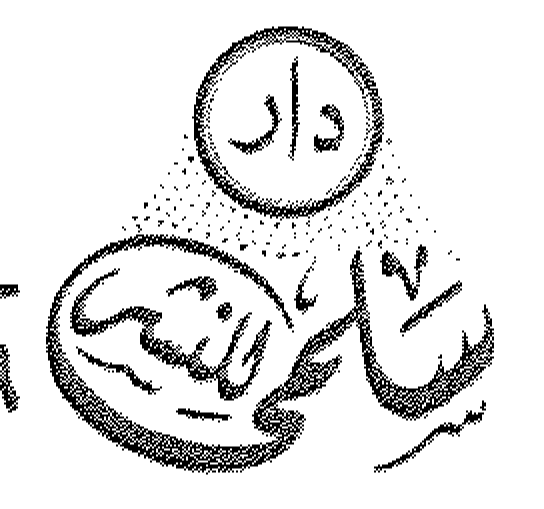
نحن الآن سيداتى سادتى .. قادمون على عصر القرود .. برغم أن الإنسان مشى على القمر وتحكم فى طاقة البخار والبترول والكهرباء والذرة وغزا الفضاء لكنه بقدر ما حكم هذه الأشياء بقدر ما فقد التحكم فى نفسه وبقدر ما فقد السيطرة على شهواته ..

ولهذا فنحن أمام إنسان أقل رحمة وأقل مودة وأقل شهامة وأقل مروءة .. وأقل صفاء من إنسان العصر المتخلف ..

لقد تقدمنا خطوات إلى الأمام وسرنا مثلها إلى الخلف ..

مصطفى





دار سلمى للنشر والتوزيع
٩٩ شارع رمسيس - القاهرة - ت : ٥٧٤٥٠٤٠٧٣٠